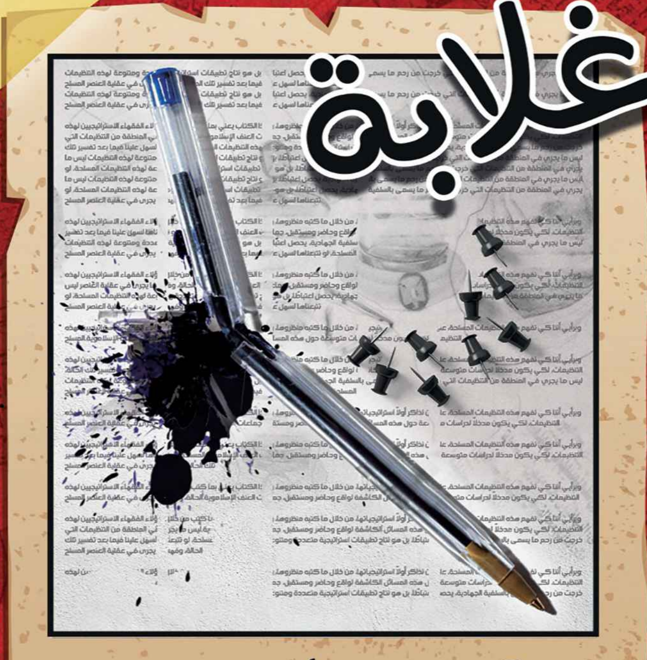
محمد العزبي

صحفيون



الكتابة بنظر 6/60



صحفيون غلابة

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية

دار دلتا للنشر



الطبعة الأولى

الكتاب : صحفيون غلابة

المؤلف : محمد العزبي

تصنيف الكتاب : صحافة / تاريخ

إخراج : محمود رمضان

رقم الإيداع : ١٩٥٥٨ / ٢٠١٧

العنوان : ١شارع ابن مروان - أمام مجلس الدولة الدقي

التليفون : 37483557 /02

email : delta4books@gmail.com

محمد العزبي

صحفيون غلابة

(الكتابة بقلم ٦٠/٦)

دار دلتا للنشر والتوزيع

الكتابة بقلم
«ستة على ستين»

تقدّم بى العمر، وضعف البصر، ولكننى أحاول أن يكون عندى نظر..

مات الفنان «محمود عبدالعزيز».. أذكر له «الشيخ حسني» فى فيلمه الرائع «الكيت كات»، أخرجه الرائع «داوود عبدالسيد» عن قصة الروائى «إبراهيم أصلان».. وعلى الرغم من إبداعات الممثل الجميل المتعددة والمتنوعة، فإننى أتوقف دائماً أمام «الشيخ حسني»..

لإبراهيم أصلان رواية قصيرة أعود كثيراً لقراءتها؛ فهى «أيضاً» تتناسب مع حالى «حجرتان وصالة» عن رجل على المعاش وزوجته يعيشان آخر أيامهما فى غرفتين وصالة.

كانوا يسمون الفنان الراحل «عسل النحل»؛ لأن الناس يلتفّون حوله.

استعمل الرئيس جمال عبدالناصر نفس التعبير مع «خالد محيى الدين» عندما اختلف معه صديقه وزميله فى تنظيم الضباط الأحرار، وكان لا بد أن يبتعد «خالد».. طلب منه «عبدالناصر» بما يشبه القرار أو الأمر أن يختار ما بين جنيف وباريس ليقيم فيها بعض الوقت تُهيأ له فيها وسائل الراحة، وقال: باريس بلاش عشان فيها قلق وشيوعيين ولاجئين عرب ومصريين، فلما أراد «خالد» أن يبقى فى مصر، متعهداً بعدم القيام بأى نشاط.. قال «عبدالناصر»: «أصل إنت عسل يا خالد؛ كل

الناس بتتلم حواليك»!

فى مقال لإبراهيم أصلان مؤلف رواية «مالك الحزين» التى أصبحت فيلم «الكيت كات» يروى لحظة دفن الناقد الأدبي «فاروق عبدالقادر»، وكيف أنهم عندما وصلوا المقابر فى منطقة أبو زعبل ذهب ابن شقيقه، وهو مدرس بالجامعة، ليقول إن عمه «فاروق» لم يكن يصلي، وقد استفتى شيخه فأفتى بعدم جواز دفنه فى مقبرة واحدة مع المؤمنين من أفراد العائلة، حينئذ حملوا الجثمان، واتجهوا إلى منطقة زرائب مهجورة بها عدة نتوءات متناثرة دون شواهد، كل نتوء منها يستوعب جثماناً واحداً، وضعوا «فاروق» فى واحدة منها، وانصرفوا.

كان «الشيخ حسني» عنده نظر!!

أحببت السفير «حسين أحمد أمين» من أول لقاء، وقرأت كتابه الجميل «شخصيات عرفتها» أكثر من مرة.. ولانهيار بصرى توقفت عند ما قاله عن «طه حسين» الذى فقد بصره بعد إصابته بالرمد وهو طفل فى الرابعة من عمره، ومع ذلك درس فى الأزهر والجامعة المصرية وجامعات فرنسا، وحصل على أكثر من دكتوراه، وأصبح عميداً لكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، ووزيراً للمعارف (التربية والتعليم). فكان أول قراراته «التعليم كالماء والهواء» مجاناً.

دخل الأستاذ الباحث الأديب «أحمد أمين» والد السفير «حسين» المستشفى؛ لإجراء عملية خطيرة فى عينيه، فجاءه طه حسين زائراً.. يدخل حجرة المستشفى يقوده سكرتيره «فريد شحاتة» من ذراعه، وإذ يسمع أبوه صوته وهو معصوب العينين يمد يده بلهفة تجاه الصوت، فيمسك بيد والده، ويمسك فريد شحاتة بيد طه حسين حتى تلتقى اليدان ويتصافحان.

كتب عنه «نزار قباني»:

«ارم نظارتك

ما أنت أعمى

إنما نحن جوقة العميان»

طه حسين كان عنده نظر!

فى نفس السياق وما فعله «الشيخ حسني» أردد القصيدة الشهيرة: «أعمى يقود بصيراً»..

وما كتبه الدكتور «أبو الفضل بدران» الأستاذ الجامعى الذى كان سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للثقافة، ثم تم نقله لقصور الثقافة، ثم أطيح به كالعادة.. ذكّرنا بالشاعر الصوفى «جلال الدين الرومي» يقول:

«كبائع للمرايا وسط عميان».. تستعدّ هوليود لإنتاج فيلم عن «الرومي» يقوم ببطولته «ليوناردو دى كابريو» نجم فيلم «تيتانيك».

وينهى الدكتور بدران يومياته فى «الأخبار» بقوله:

«تجاوزت نصف الطريق

ولم يبقَ فى صحبتي

غير ذكرى.. ونصف صديق».

وتوقفت عند ميلاد الزميل المشاغب إبراهيم عيسى صاحب ورئيس تحرير جريدة «المقال» ذات الطعم الخاص..

أحسن ما نُشر عن الاحتفال هو صورة لصفحات العدد الأول من جريدة «الدستور» الأصلى الذى كان فتحاً مختلفاً فى عالم الصحافة،

وكان كل مـن عمـل فيهـا شـاباً مـارس العمـل الصحفـى أو مبتدئـاً.

كتـب «حمـدى عبدالرحيـم» صاحـب كتـاب «فيصـل- تحريـر.. أيـام الديسـك والميكروبـاص» أنـه كان يعمـل فى ديسـك الدسـتور قبـل أيـام مـن الصـدور، عندمـا جـاءه تقريـر عـن خمسـة وزراء يخضعـون للعـلاج فى الفـترة الأخـيرة.. سـأله «عيـسى»: كيـف سـتكتبه؟ أجـاب: سـأبدأ بتأمـل الحالـة الصحيـة فى دولـة شـاخت فى مقاعدهـا «تعبـير شـهير للأسـتاذ هيـكل».. ثـم بعدهـا سـأنتقل لوصـف الحالـة الصحيـة لـكل وزيـر مريـض، مـع التنبيـه لأن المـرض أمـر طبيعـى جـداً لرجـال فى مثـل أعمارهـم المتقدمـة جـداً.. سـأله «عيـسى»: ومـاذا سـتضع عنوانـاً للموضـوع؟ أجـاب: الحكومـة فى المستشـفى.. صـاح إبراهيـم عيـسى: اللـه أكـبر.

كل خريجى جريدة الدستور عندهم نظر!!

يسـاعدنى ابننـا الصحفـى «الولـد الشـقى الصغـير» أكـرم السـعدنى بإرسـاله عـلى «الواتسـاب» مـا أسـتطيع قراءتـه مكـبراً.. كتـب مـن الذكريـات أنـه قبـل حـرب أكتوبـر بأسـابيع قليلـة كان هنـاك مسلسـل يومـى باسـم «عماشـة عكاشـة» بطولـة الفنـان ابـن البلـد خفيـف الـدم والـروح «محمـد رضـا»، ومعـه كان «سـيد زيـان، وإبراهيـم سـعفان، ونبيلـة السـيد».. وقـد حـدث تعديـل فى يـوم العبـور؛ إذ وقـف إبراهيـم سـعفان فى آخـر الحلقـة بقامتـه القصـيرة، وعـلى وجهـه جديـة لم نعرفهـا مـن قبـل، وبحـماس شـديد وصـوت أشـد وأنشـد وهـو حامـل العلـم المـصرى فـوق جبـل مـن الرمـل: «محمـد أفنـدى رفعنـا العلـم».. وحـدث أن قابـل الرئيـس «السـادات» الكاتـب الكبـير «أحمـد بهـاء الديـن»، فسـأله: مـين الـلى كتـب كلام المسلسـل؟ أجابـه «بهـاء»: عبدالرحمـن شـوقي.. لم يكـن «السـادات» يعرفـه، فأضـاف «بهـاء»: يبقـى نسـيب محمـود السـعدني..ضحك السـادات ضحكتـه العميقـة الصافيـة وقـال: واللـه العظيـم؟! أراد «بهـاء» أن ينتهـز الفرصـة لفتـح موضـوع عـودة «السـعدني» للكتابـة، لعـل الرئيس

يستعيد أيام الصياغة مع «زكريا الحجاوى وأحمد طوغان» ورفيق رحلة الصحافة فى جريدة «الجمهورية».. ولكن «السادات» دخل فى موضوعات أخرى.

لم ينسَ الرئيس النكت التى كانت تنقلها له أجهزة الأمن مما كان يسرف «السعدني» فى قولها.. هذا غير ما قرأه بنفسه عندما كان فى اجتماع للاتحاد الاشتراكى فى الجيزة قبل أن يصبح رئيساً، وكان بصحبته «فريد عبدالكريم» أمين الحزب، ومحمود السعدنى رئيس التنظيم الطليعى فى الجيزة.. قال «السادات» للمواطنين فى قرية «ناهيا»: جئت لكم أحمل رسالة من القائد المعلم جمال عبدالناصر، وأنقل لكم تحياته.. صفقت الجماهير.. فإذا بفريد عبدالكريم يكتب فى قصاصة ورق: تفتكر يا «سعدني» جمال عبدالناصر يعرف بلد اسمها ناهيا؟ فكتب «السعدني» على ظهر الورقة: على الإطلاق، ولا يعرف أنور السادات نفسه! ضحك «فريد» وقهقه مجلجلاً.. بحركة سريعة خطف «السادات» الورقة وقرأها.

أكرم ومحمود وصلاح السعدنى عندهم نظر!!

لم يكن عنده نظر الصحفى الفلسطينى المعروف «ناصرالدين النشاشيبي» عندما أصدر كتابه «حضرات الزملاء المحترمين»، حتى ولو ظلت عيونه ستة على ستة إلى أن توفاه الله فى مدينته القدس عن ٩٤ عاماً.. عاش فى القاهرة سنوات، وأصبح رئيساً لتحرير «الجمهورية» بأمر من الرئيس «عبدالناصر»؛ تاكيداً لموقف مصر من القضية الفلسطينية.

تناول كتابه، ولعله الأخير، أساتذتنا فى الصحافة بما يشبه تصفية الحسابات.. وتكفى عناوين بعض فصوله:

+ على الغلاف: «استحلوا الكرامة والأعراض والأموال والأسرار».

+ مصطفى وعلى أمين: التوأمان لهما قصة.

+ موسى صبري: كان اسمه «شنودة».

+ إحسان عبدالقدوس: مراهق بين السياسة والمرأة.

+ أحمد بهاء الدين: مدرسة العصا من الوسط.

+ أنيس منصور: قصة الحاوى والسلة.. والفلسفة.

+ محمد حسنين هيكل: المستشار الأول والأخير.

+ كامل الشناوي: لا تكذبي.. يا «نجاة»!

النشاشيبى الذى كان رئيساً لتحرير جريدة «الجمهورية» المصرية كتب: «عندنا فى الجرنال أكثر من خمسمائة محرر ومصور ومراسل، نصفهم مرتبطون مع أمريكا، وخمسهم مع السوفييت، وثلثهم مع ألمانيا الغربية، والبقية مع سفارات العراق وسوريا والبوليس السياسى المصري».

صرخ الشاعر نزار قبانى بأعلى صوته مطالباً «طويل العمر» بأن يترك الثقافة لأصحابها!:

على الذى يريد أن يفوز

فى رئاسة التحرير

عليه.. أن يبوس

ركبة الأمير

عليه.. أن يمشى على أربعة

كى يركب الأمير

أيا طويل العمر

يا من تشترى النساء بالأرطال

وتشترى الأقلام بالأرطال

لسنا نريد أى شيء منك

فانكح جواريك كما تريد

واذبح رعاياك كما تريد

وحاصر الأمة بالنار.. وبالحديد

لا أحد يريد منك ملكك السعيد

لا أحد يريد أن يسرق منك جبة الخلافة

فاشرب نبيذ النفط عن آخره

واترك لنا الثقافة»

وكتب «النشاشيبي» عن المال الخليجي الذى أفسد صحافتنا وصحفيينا وجعلهم سماسرة يأكلون ويشربون على موائد أمراء الخليج.. يقول: «لقد استبدّ المال، والحاجة إليه، بمعظم أصحاب الصحف فى هذا الشرق، وخضع معظم الصحفيين الكبار للضغوط المالية، بحيث انتقل الصحفى الكبير من خانة الصحافة إلى خانة الوظيفة، ومن الجندى فى السلطة الرابعة إلى موظف إعلامى فى وزارة الإعلام الحكومية، ومن كاتب لا يخشى فى قول الحق لومة لائم إلى صحفى يسعى لرضى الوزير وعفو الأمير وهبة الحاكم! بل لقد سمح بعض زملائى الصحفيين لأنفسهم بالولوج فى مهمات إعلامية رسمية لا تتفق مع الميثاق الصحفي، ولا مع شمائل الصحافة الراقية».

ويقول إن أحد أصدقائه من رؤساء تحرير الصحف تحوّل من رئيس

تحريـر صحيفـة يوميـة إلى مجـرد سمسـار إعلامـى تجـارى لحسـاب دولـة خليجيـة!

«نحـن شـعب لا يسـتحيي».. عنـوان القصيـدة التـى أعـدم بسـببها الشـاعر العراقى «أحمـد النعيمـي» يقول:

ألسنا من بايع الحسين ثم خناه؟

ألم تكن قلوبنا معه وبسيوفنا ذبحناه؟

نحن خدم الحسينيات والجوامع والمساجد والكنائس والملاهى والبارات

ونحن أيضاً أتباع الشيطان تحت السروال!

محمد العزبي

مصر الجديدة- يوليو **2017**

أول ليلة طوارئ

مجـرد صدفـة أن يحـدث هـذا فى أول يـوم أعلنـت فيـه حالـة الطـوارئ فى مـصر -ومـا أدراك مـا الطـوارئ- عشـنا فى ظلهـا سـنوات طـوال عجـاف حتـى غادرتنـا ليعيدها الإرهـاب، والحمـد للـه أنهـا لثلاثـة أشـهر فقـط.. يـا رب!

جريـدة الأهـرام «العريقـة» كانـت مهـددة بعـدم الصـدور؛ لخـلاف قديـم تجـدد بـين «أحمـد النجـار» رئيـس مجلـس الإدارة، و«محمـد عبدالهـادي» رئيـس التحريـر.. حـول مقـال «أحمـد عبدالتـواب»، مـع أنـه يكتـب كل يـوم منـذ أزمـة «أسـامة الغـزالى حـرب»، وغضبـه وامتناعـه عـن الكتابـة فى «الأهـرام»، ولجوئـه لـ«المـصرى اليـوم»، فلما عـاد كان «عبدالتـواب» قـد احتـلّ مكانـه، ورحـل «أسـامة» إلى مـكان آخـر.. و«آدى اللى كان وآدى اللى صـار».

تثير حكايـة الغـزالى حـرب قضيـة: هـل مـن حـق رئيـس التحريـر أن يغـيّر كلـمات كاتـب المقـال، خصوصـاً لـو كان يقـدّر المسـؤولية ويتحمـل نتيجتهـا؟

الجـواب: نعـم مـن حقـه؛ فهـو المسـؤول قانونيـاً وسياسـياً عـن كل مـا يُنـشر فى الجريـدة، ولكـن مـع عـدد مـن الكتـاب يجـب أن يخبرهـم بوجهـة نظـره حتـى لـو أصر عليهـا.. احترامـاً لهـم ومحاولـة إقناعهـم أن يغـيروا بقلمهـم مـا يتفقـون عليـه؛ ليكـون الأمـر بالاتفـاق.. أو يسـتبدل المقـال بعبـارة يعتـذر عـن عـدم الكتابـة، ويواصـل غـداً أو فى وقـت لاحـق!

أما «عبدالتواب» الذى قرأنا له فى الإصدار الأول الفريد لجريدة الدستور التى وضع أسسها «إبراهيم عيسى»، وباعها أيضاً! وفى جريدة «الأهالي» اليسارية..

ولم أقرأ له فى جريدة «الشعب» المتشددة المتدينة جداً؛ تثير لحيته شكوكاً لدى البعض! يقولون إنها مجرد الصداقة التى بينه وبين رئيس تحرير «الشعب»، وكان دائماً مرتبطاً ب»الأهرام».. أما سبب الأمر الصادر من رئيس مجلس الإدارة بعدم نشر مقاله -الذى لم ينفذ- فكان عدم التجديد له، وقد خرج على المعاش قبلها بأعوام، وما زال يكتب، ولكن الحجة الجديدة أنه أصبح يكتب مقالاً يومياً هذا مع أن معظم كتاب «الأهرام» فى سنّ المعاش!

المقال نفسه وقد نُشر كاملاً ليس فيه ما يستوجب المنع والغضب! كتب أن التخطيط التآمرى للإرهاب يعتمد على التأويلات الدينية المستقرة فى عقول أصحابها؛ وأن هذه الأفكار لا تزال تحظى بانتشار فى المنابر الرسمية فى كل من التعليم الأزهرى والعام..

تفاصيل المعركة لا تهمّ؛ ولكن عدم صدور «الأهرام» العريق يوماً أثار القلق؛ وقد نسب للصحفى النائب مصطفى بكرى انه قال بانفعال مطالبا باعتقال احمد النجار بموجب قانون الطوارئ.. كده على طول من أول يوم!! بداية تبشر بما هو قادم! تذكرنى بمداخلة على الهواء مع «جابر القرموطي» منذ سنوات قليلة عندما توقفتُ بعض الوقت عن الكتابة فيما أسميته «استراحة نهاية طريق»، وقلت إن تكميم الأفواه على الأبواب، وحرية الصحافة فى خطر..

ومضت الأعوام حتى تم تشكيل المجالس العليا الجديدة للصحافة والإعلام بقرار جمهوري، وأقسم اليمين أمام مجلس النواب، أما أحمد النجار فقد استقال من رئاسة مجلس إدارة «الأهرام» بيده لا بيد

عمـرو، بينـما انتظـر الباقـون النهايـة المحتومـة..

نـشرت الأهـرام خـبر اسـتقالة رئيـس مجلـس إدارتهـا، دون أن تذكـر اسـمه فى الخـبر المنشـور على صفحتهـا الأولى!!

ثـم تدهـورت الأمـور بتصريحـات غـير مسـؤولة لـ«النجـار» حـول «حشـيش» يتـم تداولـه فى ردهـات الصحيفـة، قـضى عليـه كيفـاً وتجـارة، فانتفضـت الصحيفـة واذْلَهـمّ الموقـف!!

وإذا كان المجلــس الأعــلى هــو الــذى يقــرر -أو خلافــه- فــإن قضيــة الصحــف القوميــة ويســمونها الحكوميــة، وأخـيراً الوطنيــة، فتتلخـص فى إصـلاح مهنـى طويـل الأجـل بعـد توهـان دام سـنوات.. وإصـلاح إدارى بعـد أن فاحـت رائحـة الفسـاد وقلـة الكفـاءة.. مـع تدخّـل الجهـلاء والمنافقـين وفـلان وفـلان!

«محسن وسمير وبينهما محفوظ»

حـدث هـذا فى دار التحريـر عندمـا صـدر قـرار تعيـين محفـوظ الأنصـارى رئيسـاً لتحريـر جريـدة «الجمهوريـة»، ليبقـى محسـن محمـد رئيسـاً لمجلـس الإدارة، وكان يجمـع بـين الرئاسـتين، فـدارت مشـاحنات انتهـت بنفـس مـا حـدث فى «الأهـرام»، إذ وصـل الخـلاف حـول نـشر مقـال يومـى فى «الجمهوريـة» لسـمير رجـب رئيـس تحريـر «المسـاء» وقتهـا، ونائـب رئيـس محلـس الإدارة، والـذراع اليمنـى لمحسـن محمـد.. وعندمـا رفـض «محفـوظ» بصفتـه رئيسـاً للتحريـر أصـدر «محسـن» أوامـره بوقـف طبـع الجريـدة؛ بصفتـه رئيسـاً لمجلـس الإدارة الـذى تتبعـه المطبعـة، وجـرت منـاورات وتهديـدات ومؤامـرات، كان مـن بينهـا إطفـاء النـور وقطـع الكهربـاء حتـى تتوقـف المطبعـة.. ثـم تـم احتـواء الموقـف بعـد أن تأخـر الطبـع كـما حـدث فى الأهـرام.

وكـما حـاول «محسـن» ونجـح فى زيـادة توزيـع «الجمهوريـة» ومضاعفتهـا مـن ٣٨ ألـف نسـخة للعـدد اليومـى يـوم توليـه عـام ١٩٧٧ إلى ٨٨٠ ألفـاً عندمـا تـرك رئاسـة التحريـر عـام ١٩٨٩؛ والأسـبوعى وصـل إلى المليـون.. عمـل جاهـداً بعـد تركـه رئاسـة التحريـر إلى هـدم كل مـا بنـاه هـو ومجموعـة الشـباب الذيـن اسـتعان بهـم تحـت التمريـن، فأصبـح منهـم مشـاهير ورؤسـاء تحريـر.. وكان أول قراراتـه بعـد أن تـرك رئاسـة التحريـر هـى تخفيـض كميـة المطبـوع مـن الجمهوريـة، بمـا يعنـى تحجيـم توزيعهـا قبـل طرحهـا فى الأسـواق.

كتـب مقـالاً فى العـدد الأسـبوعى لـ«الجمهوريـة» بعنـوان «خذوهـا لتعيـش» داعيـاً لإغلاقهـا، مسـتوحياً فكرتـه مـن قصـة سـيدنا سـليمان

عندما احتكمت إليه امرأتان على طفل؛ كل واحدة تدّعى أنه ابنها، فحكم بأن يُشق الطفل نصفين، وهو ما قبلته الأم المدعية، ورفضته باكيةً الأم الحقيقية، فتركته ليعيش؛ والكلام لمجلس الشورى مالك الصحف القومية.. وقد نُشر المقال دون أن يقرأه رئيس التحرير «محفوظ» أو يسمع به؛ إذ نشره مدير التحرير محمد أبو الحديد بهدوئه المعروف!

ومقال آخر لم يُنشر هاجم فيه الدكتور على لطفى رئيس مجلس الشورى مالك الصحف القومية؛ ربما لأنه لا يناصره، جاءت كلماته عنيفة غاضبة، وتدور الدوائر ليصبح سمير رجب رئيساً أبدى كثيراً من الود لـ«محسن»، ولا شيء سوف يتغير؛ ولكنه ما أن أنهى اتصاله بمحسن محمد فور صدور قرارات التغييرات الصحفية عاد لغرفته فى الفندق الذى كان مقيماً به فى ألمانيا مرافقاً للرئيس، حتى اتصل بالقاهرة، وطلب من مصطفى زهران مدير عام دار التحرير أن يغيّر كالون حجرة رئيس مجلس الإدارة.. ولعل «سمير» كان يسعى من أول يوم إلى أن ينفى ارتباطه بسياسة وأخطاء «محسن»، أو لعله أراد أن يعلن أنه لا فضل لأحد عليه!

كان محسن محمد يخطط لمثل ما فعل موسى صبرى فى «الأخبار»؛ إذ سعى لأن يأتى بعده سعيد سنبل رئيساً لمجلس إدارة «أخبار اليوم»، وكان عمر «سعيد» يقترب من سن المعاش؛ ربما لم يبقَ له سوى شهر واحد، وكان يمكن أن يكون ذلك لغير صالح تعيينه، رغم كفاءته وتاريخه وسمعته الطيبة.. حفظ «سعيد» الود، وبقى وضع موسى صبرى تقريباً كما هو.

يقول محسن محمد فى حديث صحفى مع ماهر حسن فى «المصرى اليوم»: «أسامة الباز وراء إبعادى من الجمهورية، وسميررجب ردّ

الجميـل بالصرمـة القديمـة.. منعنـى مـن دخـول الجمهوريـة، وأجلسـنى وحـدى فى المبنـى القديـم بالـدور الثامـن، ولم يكـن هنـاك سـواي، ومنـع عنـى التليفـون المبـاشر».

بعــد ســنوات طويلــة (نحــو عشريــن ســنة فى رئاســة الصحــف أيــام مبــارك) خـرج «سـمير» والآخـرون ودخلـوا فى دوامـة اتهامـات بالفسـاد ومـا سُـمى بالهدايـا لـ«مبـارك» وأسرتـه ورجالـه.. عـاد بعضهـم يكتـب مثـل محمـد عـلى إبراهيـم رئيـس تحريـر «الجمهوريـة» بترشـيح مـن سـمير رجـب أيـام مبـارك الـذى يكتـب بانتظـام فى «المـصرى اليـوم»؛ وممتـاز القـط يكتـب فى «الأخبـار» التـى كان رئيسـاً لتحريـر عددهـا الأسـبوعي.. فلـما جـاء الـدور عـلى سـمير رجـب متأخـراً بمبـادرة مـن سـامى حامـد رئيـس تحريـر «المسـاء» الـذى سـبق «سـمير» ورأسـها لسـنوات طويلـة قبـل أن يصبـح رئيسـاً لتحريـر الجمهوريـة، ورئيسـاً لمجلـس «دار التحريـر» كلهـا.. عـاد كل يـوم سـبت تحـت عنـوان «غـداً مسـاء جديـد» بـدأه بــ: «يـا قـارئ المسـاء وحشـتني، بعـد أن اختفـى المقـال منـذ ثـلاث سـنوات لظـروف اسـتثنائية!»؛ وأنهـى أول مقـال بعـد عودتـه بــ «وإلى اللقـاء».. ولكـن جـلاء جـاب اللـه رئيـس مجلـس الإدارة -الـذى فوجـئ بنـشر المقـال- رفـض اسـتمرار نـشر مقـالات سـمير رجـب؛ وقـد تحـدث معـه كثـيرون منهـم وكيـل للمجلـس الأعـلى للصحافـة، فكانـت حجتـه أن يقـدّم «سـمير» شـهادة مـن النيابـة العامـة تثبـت براءتـه مـن كل التهـم المنسـوبة إليـه.. ولم يُنـشر المقـال!

كان يـتردد أن الرئيـس «مبـارك» معجـب أشـد الإعجـاب بمقـالات «سـمير»، ويـردد دائمـاً أنـه أحسـن مـن «هيـكل» الـذى لم يكـن يكتـب أكـثر مـن مقـال واحـد فى الأسـبوع، أمـا «سـمير» فينـشر كل يـوم فى «المسـاء».. انتهزهـا «سـمير» مـرة وقـال للرئيـس: لـو نـشر مقـالى فى الجمهوريـة يكـون تأثـيره أقـوى!

ماذا كانوا يقولون زمان؟

** «فكرى اباظة» نقيب الصحفيين وشيخهم ورئيس تحرير «المصور» فى عزّها، وصاحب الضاحك الباكى قال بعد تأميم الصحافة عام ١٩٦٠ وتعيين رقيب على كل صحيفة: أنا أكتب المقال الواحد مرتين وتلاتة علشان الرقيب يوافق على مقالة منها.. ده زى ما أكون بياع لب!

** جلال الدين الحمامصي، أستاذ الصحفيين، ومعلمهم مهنة وسلوكاً قال: إن بعض الصحفيين يلجأون من أجل مجدهم الشخصى إلى القيام بأدوار «غلط»، فتكون وبالاً على الوطن وعلى المهنة.. وكأن التاريخ يعيد نفسه!

** موسى صبري، الذى علّم أجيالاً صناعة المهنة وأصولها وصاحب شخصية محفوظ عجب فى مسلسل «دموع صاحبة الجلالة» كتب: لعل أخطاء عديدة أو خطايا فى عملى الصحفى قرابة نصف قرن من الزمان، ولعل غيرى أقدر على إيضاحها.. ولكننى أحمد الله أننى لم أنشر خبراً، وأنا أعلم أنه كاذب، ولم أنشر سطوراً وراءها نفع شخصى أو مادي، ولم أستثمر قلمى فى مال حرام..

وهو يعانى سكرات الموت همس فى أذن صديقه الكاتب الأديب «أحمد عباس صالح»: ألم تر أن جيلنا يرحل سريعاً..أفكّر الآن أننا خُدعنا خدعة كبيرة، وأن المتصارعين على السلطة قد استخدمونا لصالحهم أسوأ استغلال.

** الطبيب المؤرخ «محمد الجوادي» قبل أن يذهب إلى قطر: «كنت أرى المغفور له الأستاذ عبدالستار الطويلة، وهو يصارع الموت فى أيامه الأخيرة فى أحد أسرّة العناية المركزة، لم أكن الطبيب المسؤول عن علاجه، فقد كنت واحداً من الأطباء المتابعين لمريض مجاور له.. كان الرجل لا يفتأ يتألم بصوت عال، بين غيبوبة وأخرى، ولكن وجهه -شأن المكافحين أمثاله- كان يكتسى بنورانية غريبة، وقد خلا من آثار الانفعال الدائم الذى يعيشه أمثاله طوال الحياة، فإذا أقبلوا على الرحيل عنها بدأ وجههم يتخلى عن هذا الانفعال، ويعود إلى طبيعة أخرى نفتقدها فى أنفسنا؛ يعود الوجه مشعّا بنورانية وسماحة.

** الدكتور مرسى سعد الدين، الذى اختاره الرئيس «السادات» رئيساً لهيئة الاستعلامات فى أيام صعبة؛ قال له الرئيس إن الصحفيين المرافقين لسيادته مدعوون فى اللوكانده على حسابكم.. أعطى كل واحد منهم ثمن الأكل طول اليوم، وقهوة كمان.. أنا مش عاوز حد يصرف حاجة من بدل السفر على الرحلة، خلى بدل السفر يشتروا بيه حاجات لأولادهم.. الصحفيين دول أغلب من الغلب!!

كيف «لا» تختار رئيس تحرير؟

شهادتى ليست مجروحة؛ فلم أكن يوماً من الواقفين فى الطابور أطلب وظيفة رئيس تحرير.. زمان لم تكن هناك مجالس وطنية أو إعلامية علياً.. ولا يأخذ أحد بالاقتراح «العبثي» الذى يشترط أن يكون رئيس مجلس إدارة أو تحرير صحيفة قومية فوق الثمانين عاماً!!

ولأننى لم أعد من الواقفين على خشبة المسرح أو حتى وراء الكواليس أو من المنظمين لجلوس المشتاقين فى الصفوف الأمامية أو الخلفية أو حتى فى الترسو!

كان الصحفيون زمان يبدأون بمسح بلاط صاحبة الجلالة، فأصبحوا اليوم من أهل الخطوة ما بين أصحاب السلطان وأصحاب الأموال وسهر الفنانات..

بقى المحظوظون على عروشهم سنوات طالت، فكان طبيعياً أن يحسوا بأن مكاتبهم هى أيضاً قصورهم، فزينوها بكل الرياش، وفرشوها من مجاميعه، ولم ينسوا السرير الفاخر المريح حتى تكون الأحلام سعيدة!

بعدها أصبحت السلالم مزدحمة بالطالع والنازل حتى يركب واحدهم بعض الوقت.. وتتكرر السلالم الصحفية!

فلما صدرت فى ٢٠١٧ نشرة الترقيات على يد المجلس الوطنى «كرم»، ومباركة المجلس الإعلامي»مكرم».

نحن نهوى تغيير المسميات، ولكن الفعل دائماً يبقى لأمشير!!

حتى مجلس النواب كان مجلس الأمة، ومجلس الشعب، ومجلس الأمة، والبرلمان.. وهو الذى يتولى شؤون الإعلام.. استرها يا رب!

ودارت أكواب الشربات بعد أن انكشف كل شيء وبان.. لولا أن اللجنة العليا بدّلت فى بعض الأسماء، واكتشفت أنها بعد الفحص والتمحيص وكثرة التصريحات اختارت لجرنال دينى محرراً فنياً، وأعلنت اسم صحفية رئيسة لتحرير جريدة تصدر بلغة أجنبية، ثم عادت اللجنة فى كلامها عندما جاء المساء، وثبّتت رئيس التحرير السابق، ونشرت صحيفة كبرى الاسمين، واحد فى الصفحة الأولى والثانى فى صفحة داخلية من نفس العدد بنفس الصحيفة.. ثم ظهر فى اليوم التالى اسم ثالث رئيسة للتحرير! ونسيت اللجنة مجلة تصدر من «الأهرام»، فصدر فى اليوم التالى ملحق باسم رئيسة التحرير الجديدة.. وتعجّب المثقفون من تولى زميل أمر مجلة إدبية عريقة؛ لأنه كان يعمل مندوباً لمجلة أسبوعية تصدر عن نفس الدار فى وزارة الداخلية، ولا علاقة له بالثقافة! وصحيفة رياضية عادت لرئيس تحريرها الأصلى بعد الإعلان عن تولى أمرها ناقد رياضى شاب.. وتولى رئيس تحرير مجلة فنية أمر أكبر جريدة سياسية.. ولما كان القانون يمنع تولى أعضاء المجالس العليا للصحافة منصب رئيس إدارة أو تحرير صحيفة كان الحل أن يستقيلوا من المجلس قبل أن يبدأ.. كذلك تولى أعضاء من مجلس نقابة الصحفيين، فتختلط الأمور، ولا نعرف لمن نشكو، وقد أصبح الرئيس هو الحكم.. وهكذا!!

غير أن الذى غطى على ما جرى هو تقدم «مكرم محمد أحمد» نقيب الصحفيين الأسبق، ورئيس المجلس الأعلى الحالى ببلاغ للنائب العام ضد جريدة «المقال» ورئيس تحريرها إبراهيم عيسى، يطالب

بحبسـه، وكان المفـروض أن يـرد عليـه بمقـالات نارية، ولـو مـن نـوع «طز يـا إبراهيم»!

الغريب من يقول إنها مجرد «قرصة ودن» من مكرم!!

القضية تتلخص فى أمرين:

تخلّف مهنى أخشى أن يكون قد أصبح مزمناً، وفساد إدارى ومالى عميق!

مطلوب رئيس تحرير

كان أستاذنا «عبدالوارث الدسوقي» يقول من زمان: لا تصدّقوا تغيير قيادات الصحف وحيثياتها. فكل الحكاية أنهم يريدون شخصاً بعينه، فيقومون بكل تلك الحركات.

تكرر ذلك فى كل العصور التى شهدناها، ولكل شيخ طريقته، حتى وصلنا للإعلان عن طلب وظيفة رئيس تحرير. وما يتبعها من إجراءات تنتهى كالعادة بما يريده الوالي.

منذ تأميم الصحافة تولى أمرها ضباط من يوليو. أحسوا بأن الكلمة أهم من أسلحة الجيش فى الثورة. عرفوا قيمتها. وإن حاربوها.. لم يزد عددهم على مائة ضابط نجحوا؛ لأن الشعب كان غاضباً مسانداً، والصحف كانت ضد الملك والباشوات.

يزعجهم أن تكون الصحف حرة. فتولى أمرها أهل الثقة. وأضمنهم العسكر. حكموا الأخبار والجمهورية و»روز اليوسف» ودار الهلال. ولم يكن غيرها سوى «الأهرام» الذى كان أكثر من مضمون بهيكل. فلما أطيح بالأستاذ، توالى عليها من يسمع الكلام، ويوسف السباعى صاحب السيف والروايات.

فلما تغيّر الزمن دخلنا فى عصر «صفوت الشريف»، ومدرسته بالاهتمام بالراقصة والنفاق المكشوف. أو حتى بالهدايا لمن يملك الأمر.

ولما جاء «جمال مبارك» برجاله كانوا الأكثر نفاقاً والأقل تأثيراً،

وكانـوا عـلى عجـل، ولم يسـتمروا طويـلاً.

مـرة أخـرى تغـيرت الدنيـا، وأصبحنـا فيـما نحـن فيـه، مـع خـبرة أقـل في اختيـار الرجـال، وهرولـة للاسـتيلاء عـلى الأسـلاب.. والصحـف مـن نصيـب مجلـس الشـوري!

العـين دائمـاً عـلى رؤسـاء التحريـر، بينـما الخطـر كبـير مـع تصاعـد الهجمـة الشرسـة مـن أصحـاب صحـف وتليفزيونـات خاصـة وعلامـات اسـتفهام غامضـة متربصة.

جـاء المجلـس الموقـر ليكمـل عـلى مـا تبقـى، يلخصـه البعـض في أنـه «أخونـة» الصحافـة.. أو عـلى الأقـل دخولهـا في الحضانـة.

يزعجهـم ألا يكـون الإعـلام تابعـاً.. ولا يلقـون بـالاً للمشـكلات الجـادة: حريـة ومهنيـة وماليـة ومـيراث متراكـم هـدد جـدران صاحبـة الجلالـة بالانهيـار!

«الخازوق» رئيساً للتحرير!

بعـث «مصطفـى أمـين» رسـالة إلى «أنيـس منصـور» عنـد تعيينـه رئيسـاً لتحريـر مجلـة «الجيـل» بدأهـا بقولـه: «يـا عزيـزى أنيـس، لا تتصـور أننـى أكتـب لـك رسـالة تهنئـة. إننـى أعـرف أكـثر مـن غـيرى مـا هـو منصـب رئيـس التحريـر.. إنـه أكـبر «خـازوق» في الصحافـة، ولا أريـد أن أهنئـك بالجلـوس فـوق الخـازوق!».

مـا مـن مشـتاق إلا ومعـه الخـازوق.. محافـظ. وزيـر. مديـر. رئيـس تحريـر.. لا يفلـت منـه إلا بالمـوت. وهـذا هـو الخـازوق الكبـير. ومـا الخـلاف الأخـير بـين وزيـر مشـتاق لرئاسـة الـوزارة، وصحفـى مشـتاق لحكـم الصحافـة؛ سـوى لعبـة -أو لعنـة- خوازيـق. كانـوا نجومـاً تحيـط بهـم الأسـاطير. ويراهـم القـراء بخيالهـم مـا بـين يوسـف بيـه وهبـي، أو

سـليمان بيـه نجيـب، أو عبدالفتـاح القـصري، أو النابلـسي، أو إسـماعيل يـس.. وصـولاً إلى حسـين فهمـي، وأحمـد حلمـي! فـكان «الرجـل الـذى فقـد ظلـه»، و»دمـوع صاحبـة الجلالـة»، و»زينـب والعـرش»، ومسرحيـة «أصـل وصـورة»، مسـتوحاة مـن شـخصية رئيـس تحريـر تقمصهـا الفنـان «حسـن مصطفـى». تتغـير الدنيـا سريعـاً، فبعـد أن كان رؤسـاء التحريـر باشـوات وبكـوات وموهوبـين أصبـح الأمـر اشـتراكية.. أحيانـاً لمـن يرضـون عنـه أو لمـن يغضبـون عليـه!

أمـا أشـهر خـازوق فذلـك الـذى اكتشـفه الكاتـب المسرحـى الموهـوب «محفـوظ عبدالرحمـن» فى روايتـه الشـهيرة «حفلـة عـلى الخـازوق» المأخـوذة عـن حكايـات «ألـف ليلـة وليلـة»، والحاكـم الـذى اختـار معاونيـه غـير الأكفـاء، فعاثـوا فى الأرض فسـاداً وظلـماً للعبـاد يلفّقـون التهـم ويفتحـون السـجون.. ولم يكـن السـلطان عـلى علـم بمـا يـدور حولـه. مسرحيـة عمرهـا أربعـون عامـاً أول مـا عُرضـت فى الكويـت!

حتى «لا» نغلق الصحف؟

كلما زاد الحديث عن الإصلاح ازداد خوفى من الإفساد.. وكلما كثر ترديد كلمة شرف المهنة توجّست شراً.. وكلما وعدونا بنعيم الحرية تحسست رقبتي! هكذا علّمتنى الأيام.

أعتقد أحياناً أننى أصبحت من خيل الصحافة وعواجيز الفرح، ولكن التدهور السريع فى حال صاحبة الجلالة يثير القلق، اليوم وغداً!

هكذا جاء تحذير «نيوتن» -الاسم الحركى للمهندس «صلاح دياب» يدق جرس الإنذار بشدة، وهو عاشق للمهنة يقولون إن جينات صاحبة الجلالة تجرى فى دمه بالوراثة عن جدّه الكاتب الكبير الراحل «توفيق دياب» صاحب جريدة «الجهاد»، والمواقف الوطنية المشرّفة، بعد رحلة طويلة كرجل أعمال ناجح اتجه «صلاح دياب» لتحقيق حلمه الحقيقي، وهو إصدار صحيفة «المصرى اليوم»، وأحسب أنه مشروعه الوحيد الذى لا يحقق ربحاً..

عندما صدرت فى صيف عام ٢٠٠٤ كنت فى منتجع سياحى بالساحل الشمالي، أذهب إلى محل لابوار، وصاحبه «صلاح دياب»، أطلب الحلوى وأشترى «المصرى اليوم»، وأذكر -مع الفارق- «جمال الدين الأفغاني» الذى كان يجلس فى قهوة «متاتيا» بميدان العتبة يوزع السعوط «النشوق» بيمناه، ويوزع الثورة بيسراه!

عندما يكتب «نيوتن»عن الخطر الذى يهدد الصحف نستمع إليه

باهتـمام، ونقـرأ مـا بـين السـطور.

الصحـف «الأربعـة» الرئيسـة فى هولنـدا تـوزع «اثنـى عـشر مليونـاً وسـبعمائة ألـف نسـخة» يوميـاً، فى بلـد تعـداده ١٧ مليـون نسـمة.. غـير الصحـف المحليـة.

كم توزع الصحف فى مصر، وقد زاد عدد سكانها على التسعين مليوناً؟

أتحدى أن تنشر صحفنا بياناً بأرقام توزيعها كما كانت تفعل زمان!

يا صحفك يا مصر!!

معاناة الصحافة

علينا الاعتراف بأن صناعة الصحافة مهددة بالانهيار. القومية أو الأهلية على السواء. أو حتى الهجين بين الصحف الخاصة، والتى تشرف عليها بعض الأجهزة. يوم اختفاء أى جريدة عن الصدور سيكون نذير شؤم على الجميع.

إلغاء الدعم بالتدريج. اتجاه عام للدولة. لن يسمح باستثناءات. ولذلك إذا افترضنا أن المؤسسة الصحفية يصلها على سبيل المثال ٥٠٠ مليون جنيه دعماً كل عام من الدولة، وافترضنا أن توزيعها ١٠٠ ألف نسخة يومياً. معنى ذلك أن تكلفة النسخة على المؤسسة تصل إلى ١٥ جنيهاً دعماً، بالإضافة لسعر البيع ٢ جنيه. لنا أن نغير فى أرقام الدعم والتوزيع ليكون القياس مع الفارق.

أن تُدخل المريض الإنعاش أو غرفة العناية المركزة. هذا لا يعنى أنه سيعيش. إنها محاولة لإنقاذه.. لمواجهة أزمة طارئة.. لكن إذا كانت هذه الأزمة دائمة، تكون الرعاية المركزة بلا معنى.. لن تفيد.

مطلوب جراحة دقيقة عاجلة.. المشكلة الكبرى تكمن فى العمالة الزائدة.. معظم الدعم الذى تحصل عليه المؤسسات الصحفية أو التليفزيون يذهب للأجور، لا مجال هنا للتطوير.. إذا أردنا تغيير الوضع فيجب أن تتولى الدولة مباشرة أمر العمالة الزائدة. تتولى رعايتهم حتى يصلوا لسن المعاش. وتنطلق المؤسسات نحو النجاح. لا داعى لنستمر ٢٠ سنة أخرى مكبلين بالفشل.

عند تأميم الصحافة كان الهدف أن تتبنى الصحف مصلحة المواطن،

لا مصلحـة القـصر أو مصلحـة الحـزب، هـذه الرسـالة النبيلـة اختفـت مـع الأيـام.. إعـلام الدولـة يتحـدث بلسـان النظـام الحاكـم، حتـى الإخـوان عندمـا جـاءوا للحكـم جـاءوا برجالهـم؛ ليطبقـوا الأسـلوب نفسـه.

في مقالـه بجريـدة «الأهـرام» قـال الدكتـور عبدالمنعـم سـعيد إن التوزيـع تراجـع مـن ٣,٥ مليـون نسـخة عـام ٢٠٠٠ إلى ٣٥٠ ألـف نسـخة في ٢٠١٧. المبيعـات صـارت في أقـل مـن ٢٠ عامـا أقـل مـن ١٠٪.

الخـروج مـن المـأزق لـن يكـون أبـداً بتكـرار المـاضى واسـتحضاره. حتـى لـو جئنـا بنجـوم العـصر الذهبـى للصحافـة: مصطفـى أمـين، وعـلى أمـين، وهيـكل، وأحمـد بهـاء الديـن، وإحسـان عبدالقـدوس، ومـوسى صـبري، وإبراهيـم سـعدة، وإبراهيـم نافـع، وجـلال دويـدار، وصـلاح منتـصر، ومكـرم محمـد أحمـد... مـن يحاولـون تقليـد هـؤلاء النجـوم سـيكونون مسـخاً مضحـكاً. لـو عـادت كل هـذه الأسـماء، فلـن يسـتطيعوا أن يمنحـوا صحافـة اليـوم قبلـة الحيـاة. لا سـيما بعـد أن تدهـور بعضهـا، فأصبحـت مجـرد نـشرات كانـت تغنينـا عنهـا هيئـة الاسـتعلامات مـرة واحـدة.. بعـض آخـر وجـد الأسـهل أن يتحـول إلى صحافـة صفـراء. المشـكلة ألا علاقـة لهـا بالنوايـا. فاقـد الـشيء لا يعطيـه ولـن يعطيـه.

مـن ناحيـة الإصـلاح المـالي؛ مؤسسـتا «الأهـرام» و«الأخبـار» تحديـداً لديهـما أصـول لا تقـدّر بثمـن، يمكـن لـو أُحسِـنت إدارتهـا لتجاوزتـا كبوتهـما الاقتصاديـة بسـهولة.

إذن، محـاولات تدويـر المـاضى لـن تكـون حـلاً. ولكـن هنـاك إعـلام آخـر أراد الحيـاة. موجـود في أمريـكا وأوروبـا واليابـان. وجـد وسـائل جديـدة عمليـة ضمنـت لـه البقـاء، بهـذا اسـتمر في النمـو والازدهـار.

الطريق ليس مسدوداً.. هو مفتوح فقط أمام الحلول الجديدة المبتكرة.

كيف «لا» تُصدر صحيفة؟

أصدر الصحفى الأديب «سامى فريد» كتاب «صالة التحرير»؛ كشف فيه أسرار ما كان يجرى وراء كواليس جريدة «الأهرام» التى كان يعمل بها بعد أن عاش سنواته الأولى يتتلمذ على يد الأديب الكبير «يحيى حقي»..

٤٥ قصة ممتعة ومثيرة مثل الظروف التى أحاطت بموت الأستاذ «على حمدى الجمال» رئيس تحرير الأهرام وقتها أثناء رحلة لأمريكا يغطى زيارة للرئيس السادات، وقيل يصالحه.. ومثل الرجل الغامض الذى غنت له «سعاد حسني» فى فيلم «خلى بالك من زوزو» شعر «صلاح جاهين».

وكتب الصحفى «محمد الشماع» فى يومياته بجريدة «الأخبار» عن «صالة النجوم» فى «أخبار اليوم»، وقال: وصلنا إلى مرحلة بقلم وصورة الكاتب، ولم يعد مهما ماذا قال، ولكن المهم هو أن يكتب اسمه مقروناً بصورته «وبس»!

أما الصحفى الشاب «محمد هشام عبيه» الذى تولى رئاسة تحرير جريدة اليوم الجديد وهو فى منتصف الثلاثينيات من عمره لولا أن عين الأمن أصابته! فقدم فى جريدة «المقال» ملخصاً وتعليقاً عما يحدث عندما يجتمع ٦ من الصحفيين لإصدار الأعداد التجريبية من جريدة لن تصدر أبداً؟ اسمها «العدد صفر»، آخر روايات الكاتب الإيطالى الأشهر «أمبرتو إيكو». نشرها قبل وفاته فى ٢٠١٦ بعام

واحـد فقـط، وكأنهـا رسـالة يـودّع بهـا العـالم مفادهـا «كل مـا تعيشـونه كـذب أيهـا السـادة»! ترجمهـا مـن الإيطاليـة إلى اللغـة العربيـة الأسـتاذ «أحمـد الصميعـي».

البطـل «كولونـا» كاتـب الظـل الـذى يعيـش فى ميلانـو، يكتـب الروايـات البوليسـية لصالـح مؤلفـين آخريـن، ويترجـم مـن وإلى الألمانيـة بعـض الأعـمال الرديئـة، ويبحـث عـن حـب حقيقـى أو مغامـرة جديـدة، وهـو فى الخمسـينات مـن عمـره؛ لأن «الحيـاة لم تكـن جديـرة بالاهتـمام»، كـما يصفهـا هـو بنفسـه. فى صيـف ١٩٩٢، يأتيـه العـرض مـن «سـيماي»، وهـو صحفـى مخـضرم معـروف فى الوسـط بأنـه ليـس صاحـب تجـارب ناجحـة، لكنـه موجـود دومـاً فى الوسـط الصحفـي. سيتعاونان معـاً برفقـة فريـق آخـر مـن الصحفيـين قـد يصـل إلى ٦؛ مـن أجـل إصـدار الاعـداد التجريبيـة مـن جريـدة جديـدة اسـمها «الغـد»، وصـولاً إلى العـدد «زيـرو» الـذى يسـبق طـرح أول عـدد فعـلى مـن الجريـدة فى الأسـواق. فى الاجتـماع الأول يجتمـع الفريـق معـاً، جميعهـم باسـتثناء «سـيماي» و»كولونـا» لا يعرفـون الغـرض الرئيـس مـن الجريـدة. صاحبهـا رجـل أعـمال إيطـالى فاسـد يريـد إصـدار الأعـداد التجريبيـة مـن الجريـدة؛ بهـدف أن يـدرك منافسـوه ورجـال المافيـا ومسـؤولو الدولـة أنـه سـيكون لديـه جريـدة عـن قريـب، وهكـذا يمكـن أن يسـتخدمها وسـيلة لتصفيـة منافسـيه وابتزازهـم، وللوقـوف فى وجـه الدولـة حينـما يتطلـب الأمـر ذلـك. لكـن الجريـدة لـن تصدر أبـداً.. عددهـا الأخـير سـيكون هـو «العـدد صفـر». هـذا مـا يعرفـه «كولونـا» و»سـيماي» ورجـل الأعـمال، لكـن باقـى الفريـق مـن الصحفيـين الذيـن جـاءوا فى حـماس شـديد مـن أجـل أن يمارسـوا الصحافـة التـى يحبونهـا بعيـداً عـن صحافـة محـالّ الحلاقـة والنميمـة لا يعرفـون ذلـك. فـما الـذى سـيحدث فى الاجتماعـات التحريريـة التـى سـتجمع بينهـم؟

سـيفتتح «سـيماي» الحديـث معهـم قائـلاً: «أبى عـوّدنى ألا أصـدّق

الأخبار كما لو كانت منزلة. الصحف تكذب والمؤرخون يكذبون، واليوم التلفزة تكذب أيضاً. أرأيت نشرات الأخبار في السنة الماضية (يقصد ١٩٩١) في أثناء حرب الخليج. صورة طائر «الغاق» الملطخ بالقطران، وهو يحتضر على سواحل الخليج العربي؟ لقد تأكد بعد ذلك أنه يستحيل أن يوجد طائر الغاق في الخليج، وأن الصور تعود إلى ثماني سنوات قبل ذلك أثناء الحرب بين العراق وإيران».

هذه آراء توحي بأن الجريدة ستكون ثورية، ولا تقارن بما سبق من صحف إيطالية نخرها الفساد والصفقات. لكن عند بدء العمل الفعلي في الأعداد التجريبية تتبيّن أهداف «سيماي» وصاحب المال تدريجيا «الأبراج.. الناس لا يحبون أن تقولي لهم إنهم في الشهر التالي سيصابون بالسرطان. اصنعي تنبؤات تماشي جيداً أحوال الناس جميعاً. أعني أن قارئة في سنّ الستين لن تتفاعل مع نبأ مستقبلي مفاده أنها ستعثر على حبيب عمر في مقتبل الشباب».

ليس هذا فحسب، خذ هذه أيضاً، يقول رئيس تحرير الجريدة التي لن يقرأها القارئ أبداً: «إذا تحدثنا عن مقتل فالكوني (قاض قتلته المافيا) كان علينا أن نتحدث عن المافيا، وأن نعيب تهاون قوات الأمن وأشياء من هذا القبيل بضربة واحدة، فننصبح أعداء الشرطة والحرس والمافيا.. أكثر الحلول حذراً هو الالتجاء إلى ما هو عاطفي، كإجراء حوار مع الأقارب، مثلما تفعل قنوات التليفزيون عندما يدقون جرس باب منزل الأم التي أذابوا ابنها في العاشرة من عمره في الأحماض: سيدتي، ماذا كان شعورك عندما علمت بموت ابنك؟ تبتلّ عيون الناس بالدموع، فالجميع يستمتعون بمآسي الغير. هذه هي العاطفة التي ينبغي للجريدة احترامها وتعزيزها».

ثم وعندما يتناقشون حول كيفية مناقشة قضايا مثيرة لجذب

القـارئ؛ كالحديـث عـن تجمعـات الشـواذ والحريـة للجميـع، وأنهـم موجـودون فى السياسـة والبرلمـان وحتـى فى الحكومـة يظـنّ العامـة أنهـم الكتـاب وراقصـو الباليـه فقـط، لكـن بعضهـم يحكموننـا دون أن نفطـن إليهـم.. لكـن حـذار دون ذكـر أسـماء!

((هـل لاحظـت أن هـذا منهـج صحفـى مـصرى أصيـل؟ هـل تـم اقتباسـه مـن إيطاليـا أم نقلـه الإيطاليـون مـن مـصر؟ أم إن مـا يجمـع بـين مـصر وإيطاليـا ليـس البحـر المتوسـط فقـط، وإنمـا أسـاليب التجـارة بالصحـف والنـاس لصالـح رجـال المافيـا مهـما كانـت أسـماؤهم وجنسـياتهم.. مـصرى أو إيطـالي؟)).

يحـذّره «كولونـا» مـن الاسـتمرار فى التحقيـق؛ لأنـه يثبـت تـورط بعـض مؤسسـات الدولـة، ولكـن الصحفـى المتحمـس «بروجاوتشـيو» اسـتمر فى سـعيه، حتـى عـثروا عليـه مقتـولاً فى أحـد شـوارع ميلانـو الضيقـة، لتكـون وفاتـه سـبباً كافيـاً لأن يغلـق رجـل الأعـمال جريدتـه، وهـى لم تصـل بعـدُ إلى العـدد صفـر، وليجـد «كولونـا» وحبيبتـه «مايـا» أن سـبيلهما الوحيـدة للحيـاة هـو أن يغـادرا ميلانـو إلى إحـدى الجـزر الإيطاليـة ليراقبـوا بلادهـم وهـى تتحـول تدريجيـاً إلى دولـة مـن دول العـالم الثالـث، الـذى يتعايـش فيـه الضحايـا مـع القتلـة وهـم يقـرأون الصحـف فى هـدوء، دون أن يـدروا أن بعـض هـذه الصحـف تسـاهم فى قتلهـم دون حتـى أن يصـدر منهـا ذلـك العـدد الصفـري!

((هـل يحتـاج بعـض أصحـاب الصحـف الخاصـة ومحطـات التليفزيـون فى مـصر لقـراءة روايـة «العـدد صفـر»..أم يفكـر كل واحـد منهـم فى كتابـة قصتـه مـع الإعـلام عـلى طريقتـه؟!)).

رؤساء وإعلاميون وعفاريت!

ربنـا يسـتر؛ فالـكلام هـذه المـرة عـن الرؤسـاء وهـم «يفرمـون». وعـن الإعلاميـين وهـم لا يُغفـرون. وعـن العفاريـت التـى تظهـر هـذه الأيـام فى عـز الظهـر. وأبـداً لا ينصرفـون زى زمـان.. وأنـا أخشـاهم منـذ طفولتـي. والحـمار الـذى ركبتـه ليـلاً فى قريتـى فـإذا بـه يعلـو ويعلـو. يقولـون إنـه الشـيطان. ذلـك اللعـين الـذى كدنـا نتخلص منـه أيـام «سـيدنا نـوح» وسـفينته. التـى جمـع فيهـا مـن كل زوجـين اثنـين. ولا يركبهـا سـوى مـن آمنـوا. فـإذا بالشـيطان يتعلـق بذيـل «الحـمار» آخـر الراكبـين. و«نـوح» يسـتحثه ويقـول: «ادخـل يـا لعـين».. فلـما اكتشـفوا وجـوده عـلى ظهـر السـفينة قـال لـه نـوح: كيـف دخلـت؟! أجابـه: ألم تقـل ادخـل يـا لعـين. وأنـا اللعـين!!

حكايـات ركبتنـى وكأنهـا عفاريـت الليـل، واسـتهوتنى فى «ألـف ليلـة» و«احـكى يـا شهرزاد».

أمـا الرؤسـاء فحسـابهم فى السـماء. ألم يقـل «عمـر بـن الخطـاب» وكان رئيسـاً بدرجـة أمـير للمؤمنـين: «لـو عـثرت دابـة فى العـراق، لخفـت أن يسـألنى اللـه عنهـا: لِـمَ لَـمْ تصلـح لهـا الطريـق يـا عمـر؟!».

ولقـد كـثرت الـدوابّ المتعـثرة. وأصبـح المحكومـون بالملايـين. يصعـب إرضاؤهـم. والعـدل بينهـم وسـط أطـماع الأثريـاء وغضـب الفقـراء وتصريحـات الـوزراء.

فـ«محمـد نجيـب» أول مـن سـمعنا عنـه رئيسـاً. ولا أقـول عرفنـاه. لم يدُم طويـلاً. وابتعـد عـن العيـون. واختفـت سـيرته. وكأنـه «البرادعـي» الـذى

أنكرنا عليه جائزة «نوبل»، وشطبناه من كتب المدارس.

«جمال عبدالناصر» ملأ الدنيا وأحبه الناس إلا مَن أضاع مُلكهم. ولم يعد أمامهم سوى «النميمة» فى «نادى الجزيرة».. حتى بعد التنحى والهزيمة النكراء، تمسك به الملايين؛ لأنهم يخافون من الغد المجهول، ولا يعرفون غيره، لعله ينقذهم!!

لم يعش حاكماً أكثر من ١٤ سنة، فلم يختبر إن كانت نيته الحكم إلى الأبد، أم ماذا؟!!

«أنور السادات» يحكمنا من قصر عابدين حتى صدر ما عُرف بقانون «الهوانم»، الذى تقدمت به ثلاث سيدات من أعضاء مجلس الشعب ليصبح حكم الرئيس إلى الأبد، وليس مُدتين مثل باقى الرؤساء.. والشكر للنائبات «فايدة كامل» و«زينب السبكي» و«فاطمة عنان».

لم يكمل «السادات»؛ فقد كان قدره الاغتيال فى يوم الفرح. ذكرى النصر.

حتى جاء «حسنى مبارك» ليدخل قائمة الرؤساء المزمنين «٣٠سنة» وهو الذى كان يتمنى أن يُعين سفيراً بعد خروجه من الجيش.. والقصة ما زالت ماثلة عبرة للجميع، بينما يعانى من الشيخوخة، وهو وأبناؤه ما زالوا أمام المحاكم بتهمة الفساد، ويعود «أحمد عز» لصناعة الحديد، و«علاء» و«جمال» فى عزاء والدة مصطفى بكري. وصفوت الشريف مستنداً لذراع ابنه فى عزاء «أمين بسيوني»، و«فتحى سرور» يعود إلى المحاماة، و«مفيد شهاب» أستاذ القانون يعود بمناسبة «الجزيرتين».

انتهت ولاية «مبارك» بالثورة التى لم تعد تعجب أحداً.. وانتهت

الثورة بحكم الإخوان. سنة من العجاف!!

وجـاء «السـيسي» بصفحـة جديـدة، ومازلنـا نتحسـس -نحـن وهـو- الطريـق.. ونسـتعيد كلمـة الشـيخ «الشـعراوي» للرئيـس الأسـبق «مبـارك»: «إذا كنـت قدرنـا ليوفقـك اللـه، وإذا كنـا قـدرك فليعِنـك اللـه».

تتفاوت سنوات حكم الرؤساء؛ فليس لها فى النهاية قانون!

الرئيس والسادة المثقفون

كل رئيس له طريقة: «محمد نجيب» لم يُختبر.. و«عبدالناصر» حاورهم واعتقلهم.. و«السادات» لم يحبّ «الأفنديات». حتى أدخلهم السجون.. و«مبارك» لم يهتم بهم. تركهم لـ«حظائر» وزرائه. أما «مرسي» فلم يمهله ربه ولم يهمله.. وما زال «السيسي» يحاول إقامة الكبارى مع الإعلاميين. لعلهم يرضون!!

أفضل تعليق ما قاله «بهاء طاهر»: «الرئيس قال اسمعوني.. ولم يقل أطيعوني»!!

فى لقائه مع رؤساء تحرير الصحف القومية تحدث الرئيس عن معاناة الناس وعن آمال المستقبل..

أعجبني: «صمت المصريين يؤلمني.. لا كلامهم».

وأعجبني: «لا أحد على رأسه ريشة».

كل الإعلاميين -إلا قليلاً- ينافقون كل رئيس. حتى تنتهي ولايته.. والذين دخلوا منهم السجون يُسَبّحون بحمد جلاديهم. حتى يفقدوا عروشهم.. والذين لا يختشون منهم يختفون بإطفاء الأنوار عليهم؛ فلا صوت يعلو على صوت الطبل البلدي!!

يسميها «عماد الدين حسين»: قنوات بير السلم!!

عندما جاء رئيس جمهورية فرنسا السابق حرص، إلى جانب اللقاءات الرسمية العلنية، على لقاء مثقفين ومعارضين خارج السلطة.. لا يهم ما حدث وراء الكواليس، وليس ما سمعناه من بيان

«جميلة إسماعيل» وتصريحات «خالد علي» وتحليلات «عبدالله السناوي»، ومقال «زياد بهاء الدين». وحضور النائب «محمد السادات». وعميدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية «هالة السعيد» يكشف كل ما قيل فى لقاءات «هولاند» غير الرسمية سواء فى السفارة، أو فى أحد الفنادق. ذكر عنه «محمد سلماوي» أسماء الحاضرين الخمسة، وتجاهل اسم «إحدى فنانات الرقص. التى لم يلتقط اسمها». مع أن المفروض أن تكون تلك المثقفة الفريدة هى أول من يحفظ اسمها زملاؤها. على مائدة الطعام مع الرئيس الفرنسي، وهم إلى جانب «سلماوي» والروائى «علاء الأسواني» وأول رئيس لمكتبة الإسكندرية «إسماعيل سراج الدين»، والمنتجة السينمائية «ماريان خوري»، والمخرج الشاب «أحمد مراد».. اختيارات مُنتقاة!!

يتصادف أن تنشر الروائية والكاتبة العراقية «إنعام كجة جي» فى مقال لها بعنوان: «لبنانية شابة فى حضرة الرئيس»: «ثلاثة صحافيين وقع عليهم الاختيار لمحاورة «فرانسوا هولاند» على الهواء، بينهم «ليا سلامة».. لم يلفت انتباه وسائل الإعلام الفرنسية سوى «ليا»، واسمها الأصلى «هيا».

هل أقلقتهم جرأتها مع ضيوفها، أم لأنها عربية، ولو عاشت منذ طفولتها فى فرنسا؟! كتبت: «لوكانار تشينيه» أشهر المجلات الساخرة فى فرنسا أن اختيار «ليا سلامة» واحدة من ثلاثة يحاورون الرئيس جاء لأسباب لا تمتّ كثيراً لمواهبها الصحفية.. ولقد تم استبدال مسؤولة القسم السياسى بالقناة الثانية بها؛ لأن مدير الأخبار يرى أنها جذابة!!

أما «ليا» فلا تؤمن بالمثل العربى «اطعم الفم تستحِ العين»؛ فهى لم تجامل الرئيس أو تعفيه من الأسئلة المحرجة.. وتقول إنها مندفعة ومجازفة؛ لأنها لبنانية، ولأنها من «برج العقرب».

تنهى إنعام كجة جى مقالها بعبارة «سلامة من لدغة «ليا»!!

عنـد إجـراء تغيـيرات وزاريـة أيـام «حسـنى مبـارك» وصـف «مصطفـى أمـين» مـن سـيتولى الـوزارة بأنـه سـيجلس عـلى مصيبـة، فاكتفـى الرئيـس مبـارك بـأن قـال فى إحـدى خطبـه: «مـش هقولـه غـير مـا يصحـش وحـرام عليـك، ولـولا إنـه راجـل كبـير كنـت هقولـه كلام قـاسي».

أمـا «مصطفـى أمـين» فقـد قـال بعـد ذلـك: «إذا غضـب منـك نـاصر قصـف عمرك، والسـادات يقصـف قلمـك، بينـما مبـارك يكتفـى باللوم».

هاتوا البخور واذبحوا الديوك!

أعـود إلى أحاديـث جـدتي. التـى عفـا عليهـا الزمـن. ثـم عـادت سـيرتها الأولى، وعشـنا فى أسـاطير المـاضى والخرافـات. أخـاف القطـة السـوداء، وأبتعـد عـن طريـق وابـور الطحـين، وأسـتمع معهـا لحديـث «العرافـة» الغجريـة، ونـزور شـيوخنا؛ تتنبـأ بالمسـتقبل، و«تعمـل العمـل».

لم تكـن عفاريـت «النـت» قـد ظهـرت، وكهربـاء السـد قـد وصلـت، ونـور العلـم قـد مـلأ العقـول.

حتـى العـمارة «المسـكونة» المشـهورة فى الإسـكندرية، فظلـت خاويـة سـنوات طويلـة، اقتحمهـا شـباب وباتـوا فيهـا ليلـة، ثـم خرجـوا فى أمـان يعلنـون أن العفاريـت أوهـام.

اختلفـت التفسـيرات، فمـن قائـل إنهـا ثـورة الشـباب أعـادت الثقـة فى النـاس.. ومـن قائـل إنهـم كانـوا بلطجيـة، وقائـل بأنـه سرعـان مـا تعـود العفاريـت.

لفـت نظـرى أن المنجّمـين والنصابـين قـد زاد عددهـم ونفوذهـم، وأن الخرافـات قـد انتـشرت وأفسـدت، وشاشـات التليفزيـون امتـلأت بالمشـعوذين، وألحّـت عـلى المشـاهدين، والصحـف مـن السياسـة إلى الحـوادث تطـل مـن سـطورها العفاريـت.

عـلى صفحتـين مـن جريـدة كـبرى عناويـن مـن قبيـل: حكايـة قرابـين الجـان مـن الإسـكندرية إلى أسـوان.. ادبـح ديـك وهـات بخـور بــ ٥٠ ألـف جنيـه، دمـاء الأطفـال والمـاء المقـروء عليـه سـورة سـيدنا يوسـف، باعـوا الأرض لـشراء الزئبـق الأحمـر والبخـور المغـربي... اسـترها يـا رب!

تعددت الأسباب

على أيامى مات الملك فاروق منفياً فى إيطاليا التى أحبها، وكان يقضى الصيف فى جزيرة كابري، حيث ملوك العالم وأصحاب الملايين ونجوم السينما يذهبون إليها كل صيف، وقد قضى فيها الملك فاروق شهر العسل عند زواجه الثانى من ناريمان.. يومها وصل غضب المصريين أشده، وقال فضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الأزهر وقتها عبارته الشهيرة: «تقتير هنا وإسراف هناك»!

عاد فاروق إلى كابرى على ظهر اليخت المحروسة بعد زوال عرشه ومعه حقائبه وزوجته وبناته وطفله من ناريمان، بعد أن نجا من المحاكمة والإعدام، كما انتوى الضباط الأحرار، لولا إصرار جمال عبدالناصرعلى أن يخرج سالماً من مصر حتى لا تبدأ الثورة حكمها بالدم.

ومن الحزيرة الإيطالية الجميلة إلى العاصمة روما حاول الملك فاروق أن يستمتع بحياته فى منفاه، وأهم المتع عنده كان الطعام الذى قتله!

يبالغ مدير «ايل دى فرانس» المطعم الذى كان يفضله فاروق عندما ذكر للصحفيين تفاصيل الوجبة الأخيرة، وقال إنها كانت سلطانية مكرونة سباجيتى بالمحار مع كيلو من لحم فلورنسا المتميز مع جردل بطاطس.. أما الحلو فنصف تورتة وخمس صوابع موز وخمس تفاحات.

يبدو أن التخمة لم تكن السبب المباشر، وإنما جرعة من سمّ اسمه

«الاكونتين» وضعها له مجهول فى كوب عصير جوافة، سرعان ما تردد أنه ضابط مخابرات مصرى كان ملحقاً بالوفد المصرى فى الأمم المتحدة جاء إلى إيطاليا قبل شهر بجواز سفر مزوّر، واستطاع أن يجد عملاً «جرسون» فى المطعم الذى يسهر فيه ملك مصر السابق كل ليلة.. ثم تردد أنه «إبراهيم بغدادي» الذى أصبح محافظاً للقاهرة بعد ذلك.. ولقد نفى «بغدادي» القصة من أساسها..

فى الواحدة والنصف صباحاً احمرّ وجهه، ووضع يده فى حلقه، وحملته سيارة إسعاف ومات.. كان قد أوصى بأن يُدفن فى مصر، ولكن جمال عبدالناصر رفض، فلما ألحّ عليه الملك فيصل اشترط ألا يُدفن فى مسجد الرفاعي.. وصل جثمانه فى منتصف الليل إلى مسجد إبراهيم باشا، حتى سمح «السادات» بعد تولّيه السلطة بنقله إلى الرفاعي؛ ليُدفن بجوار جدّه إسماعيل والأسرة العلوية.

«أحمد مرتضى المراغي» فى مذكراته: «شاهد على حكم فاروق» وقد كان وزيراً لداخلية مصر قبل الثورة، فلما قامت اختار أن يقيم فى أوروبا، قال إنه حضر الجنازة فى روما، وقرأ له الفاتحة، ولم يكن معه سوى ابنه الأمير أحمد فؤاد، وإحدى بنات جلالته.

وكتب الصحفى الراحل «محمود فوزي» فى كتابه «حوار على نار هادئة» أنه اصطحب إبراهيم بغدادى إلى قبر فاروق بمسجد الرفاعي، وأخذ يحاوره وسأله: هل قتلته بالسم فى عصير البرتقال؟ فنفى.. ولكن وقتها قيل إن الملك اتصل بالأمريكان، وحامت حوله شبهة التفكير فى استعادة عرشه!

كما جاء فى محاكمة انحراف المخابرات بعد ذلك أن كمية من السم كان قد تسلمها «بغدادي» مثلما حدث مع آخرين!

ثم قال إبراهيم بغدادى للإعلامى «عمرو الليثي» فى برنامجه

«اخـتراق»: لا لم أقتلـه..

مات الملك -بالسم أو بغيره- وعمره ٤٥ سنة.

حكم اللواء «محمد نجيب» أقل من عامين اثنين، ومات وعن «٨٣» سنة.

ولكنـه ظـلّ شـبه ميـت سـنوات طويلـة حبيسـاً فى قـصر مهجـور دون اتهـام محـدد، فلـما خـشى النظـام مـن اسـتخدام قـوات العـدوان الثـلاثى عـلى مـصر «١٩٥٦» لشـخصه وإعادتـه حاكـماً للبـلاد بعـد إسـقاط عبدالنـاصر ورفاقـه.. أخـذوه بالقـوة إلى الصعيـد وعاملـه معتقلـوه بخشـونة، وتعمـدوا إهانتـه، وربمـا فكّـروا فى قتلـه وهـم أقـل رتبـة، ومنهـم مـن كان يعمـل تحـت قيادتـه فى الجيـش.. ويقـال إنهـم أذاعـوا نبـأ موتـه بينـما هـو أسـير عـلى قيـد الحيـاة، لا يؤنـس وحدتـه سـوى مجموعـة مـن «القطـط» اختـارت العيـش معـه!

كان «السـادات» يـزوره مـن وقـت لآخـر بـإذن مـن عبدالنـاصر، وكانـت عينـاه تدمعـان مـن سـوء حالـه، فاقـترح الإفـراج عنـه، ولكـن «نـاصر» قـال لـه: «اسـكت إنـت مـا تعرفـش حاجـة»..

اقـترح «السـادات» أن يعـود «نجيـب» إلى بيتـه، وهـو مسـؤول عنـه، فأجـاب «عبدالنـاصر» ضاحـكاً: علشـان تتفـق معـاه عـليّ فى الآخـر؟!

كانت وفاة جمال عبدالناصر المفاجئة صدمة للملايين وفرحة لخصومه..

بعـد أن بـذل جهـداً فـوق طاقـة البـشر، ونجـح فى وقـف الحـرب بـين القـوات الفلسـطينية والجيـش الأردنى فى معـارك أيلـول الأسـود، وقـام بتوصيـل أمـير الكويـت آخـر ضيـوف مؤتمـر القمـة الطـارئ أحـسّ بتعـب شـديد، وهـو أصـلاً مريـض، فعـاد إلى بيتـه فى منشـية البكـري، وكان كبـار

الأطبـاء الذيـن يشرفـون عـلى علاجـه فى انتظـاره بعـد أن تـم اسـتدعاؤهم عـلى وجـه السرعـة.. ولكـن القـدر سـبق، ولم يصـدّق أحـد، وكان رئيـس قسـم الأخبـار بجريـدة «الجمهوريـة» إسـماعيل الشـافعى يهمـس لنـا بالخـبر وهـو يتلفّـت خلفـه، والأسـتاذان إبراهيـم نـوار ومـوسى صـبرى تحدثـا لحظتهـا تليفونيـاً دون أن يذكـرا اسـماً، واكتفيـا بسـؤال غامـض قصـير: هـو الخـبر صحيـح؟!

ثـم كان وداع الزعيـم الأسـطوري، وتـولى نائبـه «السـادات» بمسـاعدة الأسـتاذ «هيـكل» الصحفـى الأوحـد المقـرب مـن «عبدالنـاصر».. فلـما اختلـف «هيـكل» و«السـادات» بعـد سـنوات قليلـة سـمعنا قصـة أخـرى، بـل اتهامـاً!!

كتـب الصحفـى الكبـير عندهـا أنـه قبـل يومـين مـن انتهـاء مؤتمـر القمـة، وكان يُعقـد فى فنـدق هيلتـون، ذهـب «عبدالنـاصر» إلى غرفتـه، ومعـه أنـور السـادات؛ للقاء منفـرد مـع يـاسر عرفـات، بعـده طلـب فنجـان قهـوة، أصرّ السـادات عـلى إعـداده لـه بنفسـه، بعـد أن صرف السـفرجي.. كان فيـه سـم بطـيء المفعـول.. لم يقـدّم هيـكل اتهامـاً صريحـاً.. وليـس ذلـك سـبب امتنـاع واحـد مـن أطبـاء عبدالنـاصر التوقيـع مـع زملائـه عـلى تقريـر سـبب الوفـاة.

هكذا انتشرت بعد سنوات حكاية موت «عبدالناصر» -أيضاً- مسموماً.

وبالمـرة ظهـرت قصـة تفـاح لبنـانى مسـموم جـاءه هديـة مـع الوفـد اللبنـاني.. وقصـة أخصـائى العـلاج الطبيعـى عـلى العطيفـى الـذى اسـتُدعى لتخفيـف آلام تصلّـب شرايـين سـاق عبدالنـاصر، واسـتخدم زيوتـاً بداخلهـا سـمّ خفـي، واتهـم بأنـه كان عميـلاً لـ«إسرائيـل»، وألقـى القبـض عليـه وحوكـم ومـات فى السـجن، مـما أثـار مزيـداً مـن الشـكوك..

للدكتـور «الصـاوى حبيـب» كتـاب عـن «اللحظـات الأخـيرة فى حيـاة جـمال عبدالنـاصر»..

مات وعمره ٥٢ سنة.. وانتشرت قصيدة «نزار قباني» قتلناك يا آخر الأنبياء:

«قتلناك..

وليس جديداً علينا

فكم من رسول قتلنا

وكم من إمام ذبحناه وهو يصلي

صلاة العشاء

قتلناك يا جبل الكبرياء

وآخر قنديل زيت يضيء لنا فى

ليالى الشتاء

قتلناك يا حبنا يا هوانا

وكنت الصديق وكنت الصدوق

وكنت أبانا

كل الأساطير ماتت

وبموتك انتحرت شهرزاد»

فى عـز انتصـارات الرئيـس أنـور السـادات قُتـل وبأيـدى جنـوده وفى ذكـرى يـوم النـصر ٦ أكتوبـر، وبعـد أن تأكـد دوام حكمـه بالتعديـل الـذى أقـرّه مجلـس الشـعب، بإطـلاق مـدة حكـم الرئيـس بـدلاً مـن تحديـده بمدّتـين!

كان يرتدى الزى العسكرى الأنيق الذى قيل إن بيت الأزياء الفرنسى الشهير «كريستيان ديور» هو الذى صممه، ومن حوله كبار مساعديه، والألعاب النارية تتلألأ فى السماء عندما بدأ العرض العسكرى على الأرض، وعندما وصل قائد طابور المدفعية، ومن معه من راكبى الدراجات البخارية لتحية الرئيس القائد ومن معه فى المنصة، توقفت إحداها فبدا وكأنه عطل مفاجئ، فانشغل الحاضرون بها، بينما «خالد الإسلامبولي» ينتهز الفرصة، ويتقدم بسيارته العسكرية نحو المنصة، وفتح بابها، فتصوّر الجالسون أنه جاء للتحية، فإذا برصاص القناصة ينهال على الجميع، ويكون أنور السادات أول من قُتل!!

لا بأس من أن يقال بعد ذلك إنها دعوة الشيخ «أحمد المحلاوي» إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية الذى سبق وقال عنه «الساددات»: «مرمى زى الكلب فى السجن».. أو ظلم وقع على عشرات الرجال والسيدات الكبار فى السن وفى المقام الذين اعتقلهم «السادات» بالجملة؟!

مات أنور السادات عن ٦٣ عاماً.

لكنه اعتقلهم بالجملة يوم٥سبتمبر١٩٨١ وكان عددهم ١٥٤٣رجلا وسيدة لهم ولهن تاريخ!

قالت جريدة الاخبار يومها على صدر صفحتها الأولى: «قرارات ضرب الفتنة».. وقالت الأهرام نفس المعنى.. اما الجمهورية فقد اختارت:»ثورة جديدة للسادات»!!

أما جريدة المساء فقد انتظرت يوم السادس من اكتوبر١٩٨١ لتحاول ان تطبع مبكرا فاستبقت الاحداث وكتبت -ولم يكن العرض العسكرى قد انتهى والرئيس قد قتل- انه عاد الى قصره سالما!

وتـولى «حسـنى مبـارك» ثلاثـين عامـاً بعـد أن تعـرض كرئيـس جمهوريـة لمـا هـو أشـد مـن القتـل.. دخـل السـجن ودخـل قفـص المحكمـة مسـتلقياً عـلى سريـر، وهـى حالـة لم نشـهدها مـن قبـل، فلـم نعـرف إن كان مريضـاً إلى هـذا الحـد أم متمارضـاً يسـتجدى الشـفقة؟

وفى مايو ٢٠١٧ احتفل بعيد ميلاده الـ ٨٩ ويستعد للتسعين.

أسدل الستار على حسنى مبارك حيّاً أو ميتاً.

وقامـت ثـورة، وجـاءت ثـورة وتـولى «محمـد مـرسى (٦٦ سـنة) أول رئيـس مـدنى لمـصر بعـد ثـورة يوليـو، ليحكـم باسـم الإخـوان لعـام واحـد، لم يـزد يومـاً واحـداً.. خـرج مـن القـصر إلى السـجن.. أو عـلى الأصـح عـاد إليـه، ليحاكـم هـو وعشـيرته، فهـل يكـون أول رئيـس لمـصر ينفّـذ فيـه حكـم الإعـدام؟!

طفّى النور

زمان ونحن أطفال كنا نطوف جماعات فى الحوارى نلعب وننادى «طفّى النور».. كذلك كان هناك شباب أكبر سناً يتطوعون لإرشاد الناس تفادياً لغارات وقنابل «الحاج» محمد هتلر، كما أطلق عليه بعض العامة، وما كان يروّجه مذيعون عرب من راديو ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.. وربما أيضاً كراهية للاستعمار البريطاني.. وكان شاويش الدورية المهاب يقوم بدوره فى حفظ النظام إذا وجد خيطاً من نور يتسلل من شباك أطلق صيحته الشهيرة «هااع» فتنطفئ كل الانوار.

أنقذنا إطفاء النور من بعض قنابل الحرب.. ولكننا لم نجد وقتاً لذلك أيام حرب الأيام الستة، فقد كانت ساعات لم نسمع فيها سوى «صوت العرب» يُسقط طائرات العدو» على الهواء «بالجملة، ومقالات الأستاذ «هيكل» تسمى الوكسة «نكسة».

كانت الإذاعة وتليفون العمدة هما وسائل الاتصال الاجتماعى المتاحة.. حتى جاء التلفزيون أبيض وأسود بقنوات محدودة، تطفأ أنوارها قبل منتصف الليل.. فلما هاصت الدنيا وأصبح كل من يسمّى نفسه رجل أعمال عنده تلفزيون ملاكي، وتنافس الجميع على كل لون، أصبحت السهرة صباحي، والتوك شو السلاح الفعال الذى أدخلنا فى عالم آخر.

فجآة تطفأ الأنوار عن نجم لامع فلا يلبث أن ينساه الجمهور، وذلك أفضل عقاب لا تسيل فيه دماء!

حـدث هـذا مـع «محمـود سـعد» يقولـون إنـه زعيـم ولا يسـمع الـكلام، ويقولـون أيضـاً إن التلفزيـون وجـع ظهـره، فعمـل عمليـة..

كتـب زميـل فى «المـصرى اليـوم»: لم يتغـير محمـود سـعد قبـل الشـهرة وبعدهـا.. أخطـأ بحسـابات خاطئـة واعتـذر، ومـاذا نريـد بعـد الاعتـذار؟

لـك اللـه يـا «محمـود» هـو الأصلـح والأبقـى، أمـا هـم فحسـبى اللـه ونعـم الوكيـل، بحـق!

و»معتـز الدمـرداش» الـذى لا يُعـرف سـبب اختفائـه؛ فهـو ليـس مشـاغبا أو مغضوبـاً عليـه.. فلـما قـدّم برنامـج منوعـات ضاحـك لم يلـقَ نجاحـاً، ولله الأمـر.. حتـى الشـيكات التـى أخذهـا أجـراً كانـت دون رصيـد!

وقبلـه كان «باسـم يوسـف» الـذى كان المشـاهدون يسـهرون عـلى برنامجـه «البرنامـج»، نسـيه النـاس لمـا اختفـى، لم يبـقَ منـه سـوى تويتـات متباعـدة لا تـسرّ ولا تـضرّ!

كذلـك أطفـأوا النـور عـلى «يـسرى فـودة» فنسـيه جمهـوره، ولم تُعـده أضـواء القنـاة الألمانيـة التـى أعادتـه لجمهـور غـير جمهـوره!

ولم تعد زميلته «ريم ماجد».. يقولون تزوجت بعد أن أسدل الستار!

ومحاولات لا تتوقف مع «إبراهيم عيسى»، وفى كل العصور..

وغاب «توفيق عكاشة»، ومن لم نعد نسمع عنهم مدحاً أو هجاءً.

ومـن الكُتّـاب اختفـى «عـلاء الأسـواني» -أو كاد- بعـد أن مـلأ الدنيـا كلامـاً، وقـرأ الجميـع روايتـه الأشـهر «عـمارة يعقوبيـان» بـكل اللغـات، وتحديـه عـلى الهـواء للفريـق «أحمـد شـفيق» رئيـس وزراء مـصر وقتهـا، ومقالاتـه وندواتـه ومعارضتـه، حتـى أطفـئ عليـه النـور، فأصبحنـا نسـمعه

بصعوبـة!

والكتّاب «بلال فضل»، و«عمرو حمزاوي»... وآخرون

وإجازة «فهمى هويدي» للتصنيف!!

ومـن السياسـيين: «البرادعـي»، و«أحمـد شـفيق»، و«عبدالمنعـم أبوالفتـوح»، وحتـى «حمديـن صباحـي»، والناشـطون السياسـيون فى السـنوات القليلـة الماضيـة.

وشـباب ثـورة ينايـر بالجملـة! و«أحمـد حـرارة» و«نـوارة نجـم» عـلى سـبيل المثـال... وكل الشـهداء.

أمـا «ليليـان داوود» فقـد كان أمرهـا سـهلاً؛ لأنهـا لبنانيـة تـم ترحيلهـا قبـل أن يتجـدد عقدهـا، فـكان إطفـاء النـور فى يـوم وليلـة!

كذلـك يفعلهـا أصحـاب محطـات التلفزيـون لسـبب أو آخـر، حتـى ولـو كان ثقـل الـدم أو أن يتعـالى النجـم، وينـسى نفسـه؛ فليـس هنـاك كبـير عـلى أصحـاب المحطـة، إلا أن يتحملـوا بعـض الوقـت إذا كانـت هنـاك إعلانـات عـلى حسّـه.. عندهـا تطفـأ الأنـوار فى ثانيـة، والنـاس سرعـان مـا تنـسى.

فى فيلـم أمريـكى تقـوم البطلـة «باتريشـيا نيـل» بالبحـث عـن المواهـب، فاكتشـفت شـاباً واعـداً فى أحـد السـجون، قدّمتـه لمحطـة إذاعيـة محليـة، ونجـح وأصبـح محبوبـاً لـه جمهـور عريـض يسـمع كلامـه، لدرجـة أنـه عندمـا غضـب مـن عمـدة المدينـة طالـب محبيـه عـبر الميكروفـون أن يأخـذ كل واحـد كلبـه إلى مقـر الحاكـم لينبحـوا؛ إهانـة للعمـدة، ففعلـوا.. ازداد غـروره وسـاء أدبـه واحتقـر مسـاعديه، فضاقـوا بـه، وكان مـن عادتـه أن يسـبّ مسـتمعيه بأحقـر الأوصـاف بعـد الانتهـاء مـن أغنيتـه، ولاطمئنانـه أن الصـوت قـد أغلـق.

تربـص بـه مسـاعدوه، وتعمـدوا تـرك الميكروفـون مفتوحـاً عقـب انتهـاء برنامجـه الغنـائي، فسـمع عشـاقه شـتائمه، ورأيـه الحقيقـى فيهـم.. هكـذا انفضـوا عنـه وخـسر كل شيء، وعـاد وحيـداً منبـوذاً فى قـصره الـذى بنـاه بأمـوال مـن أحبـوه يومـاً.. لقـد أطفـأ هـو الأنـوار عـلى نفسـه!

إطفاء النور حل جميل وخبيث يتم وبراءة الأطفال فى العيون!

نـشرت مجلـة «خـارج التغطيـة» -مـشروع تخـرج طلبـة قسـم إعـلام بجامعـة حلـوان- أسـماء الذيـن أطفئـت عليهـم الأنـوار فى الإعـلام، وهـم: «محمـود سـعد، وسـعد الديـن إبراهيـم، وإبراهيـم عيـسى، وتوفيـق عكاشـة، ورانيـا بـدوي، ودينـا عبدالرحمـن، وريـم ماجـد».

يرحـم اللـه الكاتـب السـياسى «لطفـى الخـولي» الـذى نحفـظ مـن مسرحيتـه «القضيـة»: نقفـل الشـباك ولّا نفتحـه؟!

وعجبيييي!

آه يا بلد

جابت ولد بمصاصة

ونفس البلد جابت

ولد مقتول بقناصة

وبنت زى الوتد

وبنت رقاصة

والكلب فيكى يعيش

والشهم يموت برصاصة

«صلاح جاهين»

ضرب القباقيب

لم نعرفه من أيام «شجرة الدر» فى الحمام، ولكننا شاهدناه بالحذاء فى مجلس النواب.. والقصة طويلة ومملة وبايخة.

دعونا اليوم من «عكاشة» وجنانه... ومن الممثلة والضابط، ومن الطبيب وأمين الشرطة، ومن المذيعة فى المحكمة. ومن عشوة الجمبرى بثمانين ألفاً، ويقال خمسة عشر ألفاً فقط.

كدت أن أرتاح وأتصرف كما فعلت «شيرين آه ياليل»، ولو أنها عادت للطرب أى مثل «الأستاذ» عندما انصرف ولم ينصرف حتى لقى ربه لا بأس فتلك هى سنة الحياة.. لولا أننا ننشغل كل يوم بحكاية لا تساوي، فتنتابنا الشكوك بأنه «لهو خفي»، وليس مجرد ضرب نائب بالحذاء.. وهات يا كلام وخصام وجنازات يشبع فيها الإعلام لطماً.

حكايات الحذاء لا يمكن حصرها؛ فهى من زمان.. ذلك أن أول مرة لبس فيها الإنسان حذاءً كان من آلاف السنين قبقاباً فرعونياً من ورق البردي، بعد أن كان من القش والطين؛ ليتطور مع العصور.. وعرفنا فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى لسيدنا موسى.. وللعرب عنه حكايات وأمثلة ونوادر.

ولماسح الأحذية مفاجآت، فقد انتخب شعب البرازيل واحداً منهم «داى سيلفا» رئيساً للجمهورية، وأصبح أحدهم بطلاً عالمياً للملاكمة «تايسون».. وكذلك كان الأديب المغربى محمد شكرى صاحب رواية

«الخبـز الحـافي»، و«حسـين كيـكا» الـذى ظـلّ فى نفـس مكانـه مـع صندوقـه طـوال سـنوات الحـرب فى مدينـة «سـيراييفو» يجلـس كل يـوم فى شـارع تيتـو بعاصمـة البوسـنة، فاسـتحق تمثـالاً؛ لأنـه كان يبعـث الأمـل فى النـاس المحاصريـن، يقولـون لأنفسـهم كلـما رأوه: لقـد صمدنـا يومـاً آخـر.. كرّمـوه وأقامـوا لـه تمثـالاً مـن الخشـب فى قلـب المدينـة، وأمامـه صنـدوق مسـح الاحذيـة، وأسـطورة «حـذاء سـندريلا» بـكل اللغـات.

والشاعر الغاضب الجميل نجيب سرور يكتب:

أنا ابن الشقاء ربيب الزريبة والمصطبة

وفى قريتى عمدة كالإله يحيط بأعناقنا كالقدر

وذاك المساء أتانا الخفير ونادى أبي

رأيت الإله يقوم بخلع الحذاء وينزل كالسيل فوق أبي!! أهذا أبي؟!

والشاعر العراقى الثائر أحمد مطر المقيم فى لندن كتب:

قال: ما الشيء الذى يهوى كما تهوى القدم؟ قلت: شعبى

قال: كلا.. هو جلد ما به لحم ودم.. قلت: شعبى

قال: كلا.. هو ما تركبه كل الأمم.. قلت: شعبى

قـال: فكـر جيـداً.. فيـه فـم مـن غـير فـم ولسـان موثـق لا يشـتكى غـير الألم.. قلـت: شعبى

قال: ما هذا الغباء؟ إننى أعنى الحذاء.

قلت: ما الفرق؟ هما فى كل ما قلت سواء.

وختامه نزار قباني:

وإذا أصبح المفكر بوقاً

يستوى المفكر عندها والحذاء

وقصيـدة «رثـاء فى حـذاء» كتبهـا فضيلـة الشـيخ أحمـد حسـن الباقـورى عندمـا كان يحـضر وأنيـس منصـور مؤتمـر الخريجـين فى القـدس، وبعـد الصـلاة فى المسـجد الأقـصى لم يجـد أنيـس حـذاءه.

ويـروى الدكتـور «مصطفـى الفقـي» أنـه ذهـب يصـلى الجمعـة فى الحسـين مـع الرئيـس الأسـبق «مبـارك» فلـما خـرج بعـد الصـلاة لم يجـد حـذاءه، قـال إن المؤمـن مصـاب.

وسرقـوا حـذاءه أيضـاً بعـد صـلاة الجمعـة فى مسـجد نـاصر بدمنهـور، فكتـب الناقـد والشـاعر جابـر قميحـة: «سـأظل بعـدك حافيـاً. فأنـا الـوفى أبـو الوفـاء».

وتنتـشر حـواث سرقـة الحـذاء بعـد صـلاة الجمعـة، ولا يهـم أن كان صاحبـه مديـراً للأمـن أو محافظـاً.. وفى مسلسـل «صاحـب السـعادة» لعـادل إمـام سرقـوا حـذاء وزيـر الداخليـة «خالـد زكي»، فلبـس فـردة بيضـاء والأخـرى ألـوان!

واسـتحق الإعلامـى السـورى «شـادى حلـوة» الـضرب بالحـذاء عـلى الهـواء أثنـاء إذاعـة برنامجـه مـن شـوارع مدينـة حلـب وسـط هتـاف «الإعـلام السـورى كاذب».

أمـا البرلمـان المـصرى فقـد سـبق وشـهد محـاولات الـضرب بالحـذاء تحـت القبـة.. ولكنهـا جميعـاً لم تصـل إلى مـا فعلـه النائـب كـمال أحمـد بالنائـب توفيـق عكاشـة!!

هل يدخل الصحفيون الجنة؟!

ماذا أفعل؟ هل أعتزل وأنتظر حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً بعد عمر قريب، أم أواصل حتى ولو وهن العظم منى وضعف البصر أو كاد يزول؟ ناهيك عن ألزهايمر!!

وكأن خبر وفاة صحفية عالمية عن عمر مائة وخمس سنوات قد جاء فى موعده.. هكذا يظل الزملاء الكبار سناً كابسين على أنفاس الشباب، والقراء!!

لم يخترع فزورة إحالة الصحفيين للمعاش عند سن الستين إلا الرئيس «السادات»؛ لعله يتخلص من أراذلهم.. كان المقصود بالذات مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصى فإذا بهما أكثر شباباً وهجوماً.. أما الذين تحمّسوا للقرار مثل موسى صبرى وأنيس منصور فسرعان ما لحق بهما سنّ المعاش!

بدأت كلير هولين عملها بأكبر سبق صحفى عالمي، وهو خبر إعلان الحرب العالمية الثانية، وإن جاء ذلك بالصدفة.. كان عمرها ٢٦ سنة عندما ذهبت إلى الحدود الألمانية البولندية فى مهمة إنسانية؛ لرعاية لاجئين يعانون من ضعف القدرات الذهنية والمصابين بالعمى والصمم، فرأت الدبابات الألمانية تتحرك عبر الحدود، وكان ذلك بداية الغزو والحرب العالمية الثانية.. أرسلت الخبر الخطير إلى صحيفة «الديلى تليجراف» البريطانية ليحتل العنوان الرئيسى للصفحة الأولى، ويصبح حديث العالم كله.. وقد تذكرتها الصحيفة عند الاحتفال مؤخراً بمرور سبعين عاماً على تلك الحرب.

عاشت سنوات طويلة مراسلة فى الشرق الأوسط، وأقامت فى كل من بيروت والقاهرة، وأجرت أحاديث مع الملوك العرب وشاه إيران عندما تولى الحكم، وبعد أن أسقطته الثورة الإسلامية، كذلك مع زوجته الأولى الأميرة فوزية.. وكشفت الجاسوس السوفيتى كيم

فيليبى وهروبه من بيروت إلى موسكو، وكان مراسلاً صحفياً بريطانياً فى العاصمة اللبنانية.. وكانت الوحيدة التى غطت حرب الحدود بين الهند وباكستان بعد أن منعت الهند تواجد المراسلين الأجانب، ولكنها كانت صديقة لأنديرا غاندى وزيرة الإعلام وقتها.. ونجت بأعجوبة من انفجار عنيف فى فندق الملك داود بالقدس راح ضحيته مائة شخص عام ١٩٤٦ عزّ عنف الصراع الفلسطينى الإسرائيلي.

اختارت أن تقضى بقية عمرها فى هونج كونج..

حاولت طوال سنوات عمرى أن أكون منحازاً للبسطاء لعلنى أدخل الجنة.. ولكن هل يدخل الصحفيون الجنة، أم إن الصحف والتوك شو، وما أشبه لا تصدر إلا فى نار جهنم وبئس المصير؟!

يمكن أن يدخل بعض الكتاب والنواب والصحفيين والإعلاميين الجنة «إذا اعتزلوا».

فاعتزلوا، وأنا أوّلكم، يرحمكم الله.

من يدخل الجنة؟

* كتب الأديب ابن الأديب الساخر الجميل الراحل، ومن أعماله «نبش الغراب»، و«كل العائلة أدباء»، كتب محمد محمد مستجاب فى عزاء الرائع علاء الديب: سبعة سيدخلون الجنة أولهم يوسف إدريس؛ لأنه يوسف إدريس، وسابعهم بهاء طاهر؛ لأنه نقى وبهى وطاهر، وفى المنتصف يقف محمد مستجاب الذى يدخلها؛ لأنه أبي، والخامس والسادس الراحلان خيرى شلبي، وإبراهيم أصلان، يسبقهم علاء الديب؛ لأنه حنون وطيب وبشوش وابن ناس طيبين، ولأن اسمه علاء الدين حسب الله الديب -رحمه الله- وأخاه الأكبر صديقى بدر الدين حسب الله الديب.

اختفاء غامض لصحفى مصري

ما زالت القصة غريبة ومريبة رغم مرور سنوات طويلة على الاختفاء الغامض للصحفى المصرى «رضا هلال».

اختفى كثيرون قبله، وما زالت نفس الجريمة تُرتكب بصور مختلفة داخل السجون وخارجها، والقاتل المعروف دائماً مجهول.

خرج من مكتبه فى جريدة «الأهرام»، كعادته متجهاً إلى منزله فى شارع إسماعيل سرى بمنطقة قصر العيني، واتصل وهو فى الطريق بمطعم أبو شقرة يطلب موزة بالفتة.. وصل البيت ولم يصعد إلى شقته؛ إذ كان هناك من ينتظره ليختطفه فى لحظات.. هكذا اختفى رضا هلال إلى الأبد.

تردد أنهم أخذوه للتأديب فى جابر بن حيان مركز أمن الدولة فى الجيزة، ولكنه مات -أى قُتل- بين أيديهم، وتم إخفاء معالم الجريمة بإذابة جثته بالجير الحي، ودفن بقاياه فى مكان مجهول.

وقيل إنه شوهد محتجزاً فى سجن برج العرب بالإسكندرية.

أو أدخلوه مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية تحت اسم مستعار.

وخرج من يروّج بأنها لم تكن جريمة سياسية، وإنما نسائية!

ولم يكن كل ذلك صحيحاً، بل شائعات للتمويه وإبعاد الأنظار عن الجريمة الحقيقية المتهم بارتكابها أكابر وحكام ومسؤولون!

بعد قيام ثورة يناير وسقوط مملكة «مبارك» و«العادلي» تقدم أسامة

هلال المدرس فى السنبلاوين الثانوية ببلاغ للنائب العام؛ لفتح التحقيق فى اختفاء شقيقه «رضا».

وجدوا مكالمة هاتفية مسجلة على الأنسرماشين بصوت سيدة: «ممكن لو سمحت تفتح التليفون عشان عايزة أتكلم معاك».

ومكالمة ثانية: «مساء الخير. وليه دا كله. «مبارك» وعائلته وأنا معاهم. ما كانش فيه داعى لكل ده.. لا دى الطريقة ولا ده الأسلوب.. عيد سعيد، كل سنة وانت طيب. سلام. باى باي».. ولم يكن هناك أية أعياد فى ذلك الوقت!

اتهموا إلهام شرشر زوجة حبيب العادلى والصحفية بالأهرام بأنها صاحبة الرسالة.. ولكنها أنكرت تماماً، بل وتوعدت من اتهمها بمقاضاته، غير أن التقرير الفنى من خبراء الأصوات فى الإذاعة أكدوا أن الصوت فى التسجيل يطابق تماماً صوت إلهام شرشر.

كانت محررة بقسم الحوادث فى «الأهرام»، تزوجت «أشرف السعد» رجل الأعمال وتوظيف الأموال الذى اضطر لمغادرة مصر تاركاً لها شقة فى الزمالك تطل على جنينة الأسماك وورقة طلاق.

وكان اللواء حبيب العادلى قد أصبح وزيراً للداخلية فى أعقاب الحادث الإرهابى الشهير بالدير البحري، الذى راح ضحيته عشرات السياح معظمهم سويسريون، وأطاح بوزير الداخلية وقتها اللواء حسن الألفي.

وماتت زوجة «العادلي»، وأراد ان يتزوج فتاة مغربية، ولكنه اضطر لطلاقها بالأمر؛ لأسباب أمنية.. فلما تحوّل للزواج من الصحفية إلهام شرشر نصحه زكريا عزمى بأن يستأذن «الهانم»، فأذنت له سوزان مبارك.

تقدمت «إلهام» بطلب إجازة بدون مرتب من «الأهرام» طالت سنوات، إلا أنها ظهرت على غلاف مجلة «نص الدنيا» مع حديث أجرته معها «حنان مفيد فوزي»، ووصفتها بأنها سيدة مصر الثانية، وهو ما لم يغضب سيدة مصر الأولى!

كان «رضا» ماركسياً، وهو طالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم تحول إلى الفكر الليبرالي، صديقاً للسفير الأمريكى وقتها «دافيدوولش»، وهناك من اعتبره رجل السفارة الأمريكية فى مصر.. وقد كان من رتب إجراء حديث صحفى نشره «الأهرام» مع نائب الرئيس الأمريكى «ديك تشيني» عن غزو العراق أيام جورج بوش.. كتب مقالاً هاجم فيه الناصريين بعنوان «أرامل صدام».. وقيل بأن الرئيس مبارك قال: لا نريد «سعد الدين» آخر!

كان يؤيد التطبيع مع «إسرائيل».. قال عنه الكاتب المسرحى على سالم الذى كان يجلس معه كثيراً فى مقهى «فايف بيلز» بالزمالك إن رضا هلال مات من الخضة.

كان دائم الهجوم على جمال مبارك بألفاظ وصفات بالغة الإهانة.

هكذا تعدد خصومه، وربما تعمّد من يهمه الأمر أن يتفرّق دمه بين القبائل!!

لم تنشر الصحف المصرية ومن بينها «الأهرام» خبر اختفاء رضا هلال إلا بعد يومين، وبشكل متواضع.. بينما كانت صحيفتا «الحياة» و«الشرق الأوسط» السعوديتان الصادرتان من لندن أول من نشر الخبر، وقبل الصحف المصرية.. لعل المانع كان خيراً!

وخير تعبير على ردّ فعل الصحف المصرية هو قول إبراهيم نافع رئيس مجلس إدارة وتحرير «الأهرام» الذى كان يعمل به رضا هلال فى

منصب كبير، عندما سئل «نافع» قال: لا أعلم بالأمر!!

بعد فترة أصدرت إلهام شرشر صحيفة «الزمان» رئيسة لتحريرها، ومعها مفيد فوزي، والشيخ خالد الجندي، أما مستشار التحرير فكان مكرم محمد أحمد، ولكنه سرعان ما أعلن أنه لم يفعل أكثر من الكتابة فى الجريدة مجاملة لحبيب العادلى المسجون، ولزميلته فى «الأهرام» إلهام شرشر.

فى كل الأحوال لم يصدر من جريدة «الزمان» سوى ثلاثة أعداد، كانت تحفل بصفحات دينية كاملة تكتبها رئيسة التحرير التى تحجّبت وتصوّفت!

الصحفيون «لا»

يحبون تدقيق المعلومات

نشرت جريدة الاهرام تحقيقا مصورا عن»قصر المنتزه» قالت فيه ان القصر بناه»محمد على باشا»

لم يسكت «عباس الطرابيلى» الكاتب الذى يدقق ويبحث ويمحّص حارسا للتاريخ إلا اذا كان الحديث عن حزب»الوفد» أو عن»جمال عبد الناصر»!

نشر مقالا فى»المصرى اليوم» بعنوان غاضب مثير:»الاهرام وجهل بعض محرريها» أكّد فيه ان من شيد قصر المنتزه هو «عباس حلمى الثانى» والذى كان يعشق التجول فى شرق الاسكندرية؛ عندما يزورها كان يركب القطار الى آخر خط الرمل الحديدى ومن هناك يركب الجمال والحمير على شاطئ البحر»وفى ليلة قمرية -يقول»احمد شفيق باشا فى «مذكراتى فى نصف قرن»- أنه فى السنوات الاولى لتوليه العرش امر بإعداد ٨٠ حمارا ليركبها هو ورجاله ليلا فى الصحراء على شاطئ البحر ترافقه فرقة موسيقية..وعندما توقف الركب لاستراحة افتتن الخديوى برابيتين وأمر ببناء قصر»السلاملك» على واحدة منهما لنفسه؛ وعلى الرابية الاخرى»الحرملك»وانهى عباس مقاله بانه لو كان من الاهرام لعاقب محرر الموضوع»إبراهيم محمود»--الذى اتضح انه لم يكتب ان محمد على باشا هو من بنى قصر المنتزه ؛فقد أضافها أحد المراجعين من عنده!

تداعيات الامر وصلت الى نشر اعتذار من المصرى اليوم للاهرام فى صدر الصفحة الثالثة التى تقوم مقام الصفحة الاولى فى صحف هذه الايام تؤكد فيه تقديرها للأهرام «العريقة» بيت الصحفيين الكبير الذى يرأس مجلس ادارتها نقيب الصحفيين «المنتخب»؛وأن ما كتبه عباس الطرابيلى هو رأيه الشخصى ؛وان المصرى اليوم»اكبر»الصحف المستقلة ملتزمة بعدم تصيد الاخطاء غير المقصودة لأى صحيفة

لم يكن عباس يعلم بنبأ الاعتذار ولم يُعرض عليه قبل نشره كما تجرى-او كانت تجرى-التقاليد الصحفية ..غضب حتى عرف ما بين السطور؛ووراءها!

ثم كتب مقالا عنوانه «عندما صححت يوميات العقاد» صاحب العبقريات؛ وكان عباس محررا مبتدئا طالبا بالجامعة يعمل بقسم تصحيح المعلومات بأخبار اليوم ..كان يرأس القسم أستاذ الاعلام المعروف الدكتور»احمد حسين الصاوى»واعضاؤه الدكاترة»حسين نصار وصبحى عبد الحكيم وأحمد كمال زكى وحلمى عبد الرحمن»

أختتم عباس مقاله الثانى بقوله «إذا كانت الأهرام قد أصابها بعض الرذاذ فهذا قدرها بحكم أنها أقدم وأعرق صحف مصر لأنها تسجل للتاريخ»

ثم كتب تبقى الحكمة القائلة «وقسا ليزدجروا»على أمل الإصلاح.. ليس إلا.

نسى عباس أن يضيف سطرا يقول فيه:ومع ذلك يبقى أن من بنى قصر المنتزه هو عباس حلمى الثانى وليس محمد على باشا!!

كان»أنطون باشا الجميل»من أهم رؤساء تحرير الأهرام يقول:من لم ينشر اسمه فى وفيات الاهرام.. لم يمت!!

ومع ذلك لم تحاول صحف أخرى أن تعيد أقسام تصحيح المعلومات ؛بل أن هناك من يكره التصحيح وتدارك الخطأ ولو بالسهو والنسيان «يتيه بجهله» كما قال»طه حسين»عندما كان أحد رؤساء تحرير جريدة الجمهورية عندما كتب أديبا له روايات جميلة؛ ولكنه يصر على كتابة مقالات لا لزوم لها؛ وصف في إحداها أبطال الأساطير الإغريقية بأنهم عفاريت.غضب طه حسين وأصر- رغم كل المحاولات لترضيته-أن يرد على صاحب العفاريت في الصفحة الأولى للجريدة وصفه فيها بقوله «رضي بجهله ورضي جهله عنه».

شكرا أيها السادة النواب

تصورت أن من واجبى تسجيل أسماء النواب الذين تمسكوا بمصرية جزيرتى تيران وصنافير.

سألت صحفياً شاباً، فبادر مشكوراً بإرسال القائمة مطبوعة، ولكننى عندما راجعتها وجدت اسمين مكررين، فداخلنى الشك ليس فى صدقها، وإنما فى أن تسقط بعض الأسماء سهواً.

لجأت لصديق ليس صحفياً، وإن كانت له علاقات طيبة بكثير من أكابرهم، فاختار أن يسأل صحفياً ونائباً ممن وقفوا مع مصرية تيران وصنافير.. وعدّ الزميل خبراً، واقترح الاتصال بنائبة تعرف أكثر، وقد كان لها نشاط معارض ملموس بالكلام ورفع اللافتات، وحتى البكاء.. باءت المحاولة بالفشل؛ لأن النائبة لا ترد.. فى اليوم التالى عاد صديقى لصديقه النائب الصحفى فاعتذر وغضب، وقال: أنا عندى القائمة، والصح تتكرم مديرة مكتبك بإرسال من يأخذها.. كان ردّه: أصل أنا فى المجلس، وعموماً سأعطيك اسم نائبة أخرى متحمسة اتصلى بها.. فكانت نفس الإجابة المتهربة مع سؤال تكرر: هو الأستاذ عايز القايمة ليه؟ قال الأستاذ -وهو أنا- أريد نشرها فى كتاب أستعدّ لإصداره؛ تكريماً للسادة النواب وتسجيلاً لموقفهم.. غير أننى اعتبرت السؤال غريباً مريباً.

شكراً أيها السادة النواب!!

أعرف أن النائب «علاء عبدالمنعم» لم يكن واحداً منهم، ولا بد أنه كان سوف يسبقهم لولا أنه فى العناية المركزة.. شفاه الله.

والنائب «كمال أحمد» المعارض من أيام السادات والرافض لاتفاقية كامب ديفيد مع ١٤ نائباً محترماً آخرين لم يوقع على مصرية الجزيرتين، فهل كان يستحق السب والشتم له ولأبيه من نائب شاب متحمس مجموعته التى زادت عن المائة وتسأل: هو الأستاذ عايز القايمة ليه؟!!

انتظرت حتى احتفلنا بعيد البرلمان لعل أحداً يذكر فرسان المعارضة «نبض الحياة النيابية»، أو بعضهم على الأقل، لكننا نسيناهم، وسوف أنسى أنا أيضاً. فعبارة «نجيب محفوظ» الشهيرة أصبحت هذه الأيام أكثر انتشاراً.. وكأننا نعيش فى حارة النسيان!

من أين نبدأ؟ كلهم أبطال صنعوا لنا الحياة..

هل أبدأ بعلوى حافظ نائب الدرب الأحمر، وهو من الضباط الأحرار..

هاجم أكابر القوم وأتهمهم بالفساد.. كان أشهر استجواب له فى البرلمان عن عصابة «الأجنحة الأربعة»؛ قال للدكتور «عاطف صدقي» رئيس الوزراء وقتها: «أنت رئيس حكومة فاسدة. اللصوص يحكمون مصر.. ما حدش هينفعكم ولا الرئيس».

أحيل النائب إلى لجنة القيم التى حرمته من حضور عشر جلسات.. ضيّقوا عليه الخناق بالأغلبية ولائحة المجلس، وعدم النشر فى الصحف

والمستشار«ممتاز نصار»، ويرتبط اسمه برفض معاهدة «كامب ديفيد» وإنقاذ «هضبة الأهرامات» من البيع (ولا بد أن نذكر المعارضة الشرسة من خارج المجلس التى أعلنتها بإصرار، وتحمّلت العنت فى سبيلها؛ االدكتورة «نعمات أحمد فؤاد» أول من أثارموضوع بيع أرض مصرفى حرم الهرم، وعندما توفيت لم نودّعها الوداع اللائق بها).

كان «علـى صـبري» نائـب رئيـس الجمهوريـة أيـام «جـمال عبدالنـاصر» يكتـب مقـالاً يوميـاً فى جريـدة «الجمهوريـة» -قيـل إن إعلاميـاً شـهيراً وقتهـا كان هـو الـذى يكتبـه مـن أفـكار نائـب الرئيـس- كتـب فى إحداهـا عـن ضرورة انضـمام القضـاة للاتحـاد الاشـتراكي، ووصفهـم بأنهـم يعيشـون فى أبـراج عاجيـة، وأن فيهـم بقايـا الإقطـاع والرأسـمالية البغيضـة..

اسـتدعى «عـلى صـبري» المستشـار «ممتـاز نصـار»، وكان رئيسـاً لنـادى القضـاة، يدعـوه لدخـول الاتحـاد الاشـتراكي، ولكنـه اعتـذر أى رفـض، فلـما أصبـح نائبـاً قـاد هـو و١٤ نائبـاً حملـة الهجـوم عـلى كامـب ديفيـد.. وكان الحـل هـو حـل المجلـس وإجـراء انتخابـات جديـدة يتـم فيهـا التخلـص مـن النـواب المشـاغبين الذيـن دخلـوا الانتخابـات فيـما عـدا الدكتـور «حلمـى مـراد» وقـد نبـه ذمـلاءه لنيـة التزويـر، وقـد سـقطوا جميعـاً الا المستشـار «ممتـاز نصـار»؛ إذ قامـت عائلتـه العريقـة فى «البـداري» وأنصـاره بحراسـة صناديـق الانتخابـات بالسـلاح وبأجسـادهم، يواصـل وحـده دور المعارضـة الشرسـة.

أمـا «حلمـى مـراد» الـذى كان وزيـراً للتعليـم فناقـش زميلـه وزيـر العـدل فى اجتـماع لمجلـس الـوزراء حـول مغـزى «اسـتقالة!» عـدد مـن القضـاة، فاعتـبروه تدخـلاً فى أمـر خـارج اختصاصـه.. التقـى بـه الرئيـس «عبدالنـاصر»، وسـأله عـما حـدث، فقـال لـه: نحـن معنيـون بمصلحـة الشـعب، وأزمـة القضـاة سـوف تنفجـر، ويجـب علاجهـا قبـل أن تصبـح مذبحـة.. اسـتمع لـه «عبدالنـاصر» ثـم باغتـه متسـائلاً: هـما القضـاة هيخوفونـا؟ ردّ حلمــى مــراد: أى عربجــى فى مــصر صاحــب حــق يخوفنــا.. انزعــج «عبدالنـاصر» مـن كلام الوزيـر.. وقـرأ النـاس نبـأ إقالـة وزيـر التعليـم فى صحـف الصبـاح.

دخل «حلمى مراد» زنازين كل الرؤساء

وكان معاضاً شرساً لكامب ديفيد فى مجلس الشعب إلى جانب خالد محيى الدين، وممتاز نصار، ومحمود القاضي، وعادل عيد، وكمال أحمد، وأحمد ناصر، وأحمد طه، وصلاح أبو اسماعيل، وقبارى عبدالله، وأبو العز الحريري، ومحمود زينهم... وآخرون».

وعارض بالمقالات التى ينشرها من نوع «الوضع الدستورى لحرم السيد الرئيس».. لم يترك فرصة أو وسيلة لمحاربة الفساد إلا وانتهزها.. حتى دخل معتقل سبتمبر الشهير الذى ضم أكثر من ١٥٠٠ شخص من مختلف التيارات الوطنية.

وأستاذ الهندسة الدكتور «محمود القاضي» الذى قدّم ٧٦ اسجواباً ضد الفساد، ودخل السجن ٩ مرات.. وأحياناً كان نواب الأغلبية يغنون بقيادة «فايدة كامل»: بلادى بلادي، فتردّ المعارضة: والله زمان يا سلاحي، قبل أن ينسحبوا من الجلسة.

و»أبوالعز الحريري» مناضل من شبابه حتى عدوان الإخوان عليه فى شيخوخته.. كان يذهب لصلاة الجمعة بمسجد «السماك» فى «غيط العنب» بالإسكندرية، ومعه شعار حملته الانتخابية: فوطة، وصابونة، وشبشب لزوم الاعتقال الوارد حدوثه فى أى لحظة.. فى البرلمان كشف صفقة شراء «أحمد عز» شركة حديد «الدخيلة»، وآخر مرة اعتقل فيها كانت فى سبتمبر الشهير.. قال قبل أن يترك الدنيا: «مضى العمر ويبقى الوطن».

والمجاهد «إبراهيم شكري» معارض قديم من قبل ثورة يوليو، وواصل بعدها.. طالب بتحديد ملكية الأرض الزراعية أيام الملك، وكان من أسرة تملك أراضى واسعة.. واتهم بالعيب فى الذات الملكية بعد أن قال: «وجودنا فى السجون دفاعاً عن حرية الشعب أفضل من نزهة بحرية على أفخر يخت فى العالم» (يقصد رحلة الملك فاروق على

متن فخر البحار).

و»عزيز فهمي» نائب الجمالية الشاعر والفنان الوفدى الذى وقف ضد قانون الحد من حرية الصحافة الذى قدمته حكومة الوفد؛ حماية للملك، بعد أن كثرت الأخبار المسيئة لجلالته بمشروع قانون قدّمه نائب وفدى آخر هو «أسطفان باسيلي» الذى أصابه الخزى والعار والندم طوال حياته.. ووقف نواب وفديون آخرون إلى جانب عزيز فهمي، ومنهم «رفيق الطرزي، وإبراهيم طلعت، ومحمد بلال»... كما نشرت صحيفة «المصري» الوفدية بطول وعرض صفحتها الأولى صورة باسيلى مجللة بالسواد..

كان أبوه «عبدالسلام باشا فهمى جمعة» رئيساً لمجلس النواب، فاعترض على شدة حماس ابنه النائب واسترساله.. ردّ عليه عزيز: أنت أبي فى البيت، أما هنا فإننى أمثل الشعب الذى انتخبني.

من شدة عشقه للنيل سقط فيه بسيارته.. رحمه الله.

أما «كمال أحمد» الوحيد من جيله الذى ما زال يعارض فى مجلس النواب الحالي، وقد اشتهر أيام السادات ب»البيضة» التى أخرجها من جيبه، والرئيس يلقى خطاباً أمام النواب، وصرخ: البيضة بقت بكذا (لا أذكر الرقم، ولكنه أراد أن يدلل على الغلاء).. قال السادات بصوته المتميز: عيب يا «كمال».. أنت فى حضرة رئيس الجمهورية.. إلى جانب معارضته لكامب ديفيد تقدم باستجوابات عن غرق العبّارة وسوء إدارة المال العام فى توشكى وبيع عمر أفندي.. واشتهر بحذائه الذى ضرب به النائب «توفيق عكاشة»؛ لأنه دعا السفير «الإسرائيلي» إلى بيته..

وكان قد قدّم استقالته من المجلس (التى رفضها الأعضاء متمسكين به) رغم أنه قال: «ده مش برلمان ده شادر بطيخ»!

غير أننا لم نسمع صوته عند مناقشة قضية تيران وصنافير فى مجلس النواب الأخير.. لعل المانع خير!

تبقى واقعة الصفع والضرب وأقذر السباب عندما كان مجلس الشعب يناقش استجواباً عن سوء معاملة المعتقلين، وقام اللواء «زكى بدر» وزير الداخلية وقتها بالرد الذى بدأه بالآية الكريمة: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون}... وقدّم تسجيلاً بصوت الصحفى «أيمن نور» يثبت تزييف الصور التى نشرتها له صحيفة «الوفد»، وآثار التعذيب الشديد بادية على جسده، وأعلن عن تسجيل يؤكد فبركة صور التعذيب باعتراف أيمن نور للصحفى مصطفى بكري....ثم تطرق إلى زعيم الوفد «فؤاد باشا سراج الدين» ومديرة منزله السيدة «ليلى المغازي»، و»إسماعيل الواد الطري» الذى يتردد على البيت.. صرخ النائب مصطفى برهام: كلام فارغ..

واندفع النائب «على سلامة» نحو الوزير منفعلاً، فقال له: «اسكت يا علي».. ردّ عليه: إنت بتقولى يا علي؟! قال زكى بدر: طيب اسكت يا على بيه!

كانت جلسة صاخبة «٢٠ فبراير ١٩٨٩»، زادها اشتعالاً اندفاع النائب «طلعت رسلان» ليفاجئ وزير الداخلية بصفعة على وجهه، وقد حاول الوزير بدوره أن يرفع حذاءه ليضربه به.

ساد هرج شديد وسمعت شتائم بذيئة واخرس يا كلب وسب الدين.. وخرج من يقول: بل الوزير هو الذى ضرب النائب!

اتخذ المجلس قراراً عاجلاً برفع الحصانة عن النائبين، وإسقاط عضويتهما.

كنت أعرف «رسلان» و«سلامة» قبل أن يُنتخبا فى مجلس الشعب؛ لأنهما كانا وعدداً من الوفديين جيراننا فى العنبر المواجه لنا داخل سجن مزرعة طره، وكان سبب اعتقالهم السير فى جنازة زعيمهم مصطفى باشا النحاس!!

كل كلاب الرئيس

عـاد أخـيراً إلى بيتـه بعـد «شـحططة» بـين القصـور وشرم الشـيخ والسـجون ومستشـفى المعـادى العسـكري.. اسـتقرّ فى فيـلا هليوبوليـس المواجهـة لقـصر الاتحادية المفضلـة لديـه بعـد براءتـه مـن سـفك دم الثـوار.. فى انتظـار حكـم عليـه فيـما يسـمى بهدايـا «الأهـرام»، وهـى قضيـة فسـاد اشـتركت فيهـا كل الصحـف، والأدلـة عـلى ارتكابهـا سـاعات وكرافتـات مـاركات ومجوهـرات للهوانـم وزرايـر قمصـان ذهـب للرجـال، وقائمـة طويلـة لسـنوات طويلـة مـن تقديـم آيـات الشـكر والعرفـان تصعـب فيهـا الـبراءة، مثلـما حـدث لـكل مـن اتهمـوا فى قتـل المتظاهريـن، ليبقـى السـؤال الحائـر قائمـاً: مـن القاتـل إذن؟!

الحكـم يـأتى وفقـاً لتوصيـف التهمـة والأدلـة المقدمـة، وهنـاك دراسـات قانونيـة تـرى أن القـاضى حكـم بالـبراءة وفقـاً لـلأوراق المقدمـة، وأقـوال الشـهود.. كل الـذى رأينـاه: تسـجيل مـن قلـب المعركـة عليـه مشـاهد مـن فيلـم «الباشـا تلميـذ» لكريـم عبدالعزيـز..

حرصـت الصحـف عـلى أن تنـشر عـلى صفحتهـا الأولى، وفى العنـوان أن أول إفطـار للرئيـس الأسـبق وأسرتـه فى فيـلا هليوبوليـس.. كان «فـول وطعميـة»!

لم يعـد فى حاجـة لدخـول القفـص عـلى سريـر متنقـل.. هـل كان مريضـاً إلى هـذا الحـد، أم إنهـا نصيحـة المحامـى القديـر فريـد الديـب؟!

صحتـه جيـدة، وهـو يقـترب مـن سـن التسـعين، وتبـدو عليـه الثقـة بالنفـس والرضـا وسـط أسرة متماسـكة، يربـط الحـب والاحـترام بينهـا سـواء أقامـوا فى بيـت واحـد بعـمارة الخـبراء الـروس الشـهيرة فى شـارع عبدالعزيـز فهمـى فـوق سـور ماركـت إكسـبريس الشـهير الـذى أغلـق أيضـاً أبوابـه.

لعـل اسـم الشـارع عـلى أشـهر القضـاة وقطـب حـزب الأحـرار الدسـتوريين أيـام الملـك، وهـو مـن أعيـان قريـة كفـر المصيلحـة التـى جـاء منهـا حسـنى مبـارك، وهـو الـذى سـاعد عـلى إدخـال ابـن قريتـه الفقـير الكليـة الحربيـة بشروطهـا المسـتحيلة عـلى شـاب مـن طبقتـه.

عبدالعزيـز باشـا فهمـى سـاعد كل أبنـاء قريتـه فى تعليمهـم، فلـم يعـد بهـا وقتهـا أميـاً واحـداً فى زمـن كانـت الأميـة متفشـية فى البـلاد.. ويقـال إن الباشـا عمـل عـلى إيجـاد وظائـف لهـم جميعـاً، حتـى حمـير البلـد وجـد لهـا عمـلاً فى الحكومـة؛ إذ كانـت مصلحـة البريـد تسـتخدمهم فى نقـل البوسـته إلى القـرى والكفـور!!

وعندمـا أصبـح أبنـاء «مبـارك» شـباباً اتجـه «عـلاء» للبيزنـس مع أنـه لم يدرس الاقتصـاد، وانغمـس «جـمال» فى السياسـة، مـع أنـه رجـل بنـوك.. وانتقـل الاثنـان إلى مكاتـب وشـقق فى شـارع نهـرو القريـب مـن سـكن الأسرة.. وهـو شـارع يطـلّ عـلى حديقـة المريلانـد أطلـق عليـه العامـة اسـم شـارع «الأنجـال»؛ لأنـه بـدأ بعـدد مـن الفيـلات لأبنـاء الرئيـس الراحـل جـمال عبدالنـاصر، وعـدد محـدود مـن أصحـاب الحظـوة والسـلطة.. صحيـح أن «عبدالنـاصر» أصر عـلى دفـع الثمـن ولـو بالتقسـيط المريـح، وكانـت النيـة أن تكـون هديـة مـن شركـة المقـاولات التـى قامـت ببنائهـا.. أمـا الـذى بقـى لسـنوات ولم يتغـيّر إلا بعـد تـولى «السـادات» هـو أنـه لم يسـمح لأحـد آخـر أن يبنـى فى الشـارع، فيبـدو منتجعـاً خاصـاً محرمـاً عـلى

المصريين، وإذا اشتاق أحد سكان الشوارع المجاورة أن يشم الهواء يتعرض للمساءلة، وإظهار تحقيق الشخصية، أو أن يعود من حيث جاء!

ودارت الأيام، وقامت العمارات خمسة أدوار فقط، ثم ناطحات سحاب، وبيعت فيلات الأكابر، وأخيراً أصبحت الحديقة محرمة على الجميع، تقطع أشجارها النادرة، ويمنع الدخول إليها بما يوحى بأنها أصبحت إقطاعاً خاصاً.. يقول المسؤولون إنه تطوير للمريلاند!!

آخر كلام فى تصريح رسمى أنه سوف تقام دار للأوبرا فى بقايا الحديقة!! ادّينى عقلك!!

كان سكن أبناء مبارك فى نهرو استمراراً لتسميته شارع الأنجال حتى قضى الأمر، وعندما انتقل «علاء» و«جمال» إلى القطامية؛ المكان المختار لعلية القوم الجدد.. لم يغب واحد منهما عن أبويه، حتى ركبت الأسرة كلها الطائرة التى أقلعت بهم معاً إلى فيلاتهم فى شرم الشيخ، بعد تنحى الرئيس فى أعقاب ثورة يناير.

ولقد أشعل الأحفاد مزيداً من الحب، وكان لميلاد أولهم محمد علاء ثم وفاته طفلاً فى العاشرة من عمره تأثير شديد على نفسية وتصرفات جده الرئيس.. احتفل بعيد ميلاده وسط أحفاده، بينما حركة «٦ إبريل» تغنى «عيد ميلاد أبو الفساد»!

أملى حسنى مبارك فصولاً من مذكراته سجّلها اللواء سمير فرج الذى اشتهر أكثر بتوليه رئاسة مجلس مدينة الأقصر، ثم محافظاً لها.. هذا ما يفعله الرؤساء فى نهاية المشوار.. بدأ تسجيلها عام ١٩٩٨ (١٨ حلقة طولها ٥٤ ساعة)، كان يسلمها أولاً بأول لـ«جمال».. ولا أحد يعرف ماذا سوف يفعل ابن الرئيس الطموح بمذكرات أبيه؟

أما سمير فرج فضابط مخابرات حربية حصل على ليسانس فى التاريخ من جامعة عين شمس، وأثار جدلاً عندما اشترك فى حوار تلفزيونى مع أرييل شارون أجرته «بى بى سي» فى أعقاب حرب أكتوبر.

يقول محفوظ الأنصارى الصحفى المقرب من الرئاسة إن جمال مبارك اتصل به فى صباح باكر ليسأله: إيه اللى أنت كتبته فى الأهرام اليوم مانشيتات على نص صفحة جميعها خاطئ وكاذب؟ قال «محفوظ»: أنا لا أكتب فى الأهرام، وإنما فى وكالة أنباء الشرق الأوسط.. ردّ جمال بغضب: كيف تقول إن الدستور لن يعدّل.. قال «محفوظ» إنه وزملاؤه رؤساء التحرير سمعوا الخبر من الرئيس شخصياً فى الطائرة وهو مجتمع بهم أثناء عودتهم من زيارة للخارج.. قاطعه «جمال»: طيب خلاص صدّقنا أن هذا ما قاله الرئيس، وليه تنشره وتذيعه ليه، خاصة وإنه خطأ وغير صحيح، وسوف تتغير بعض مواد الدستور وبأسرع ما يمكن.. قال «محفوظ»: الأفضل أن توضع الصحافة فى الصورة؛ تجنباً لسوء الفهم.. ردّ جمال «كالمدفع» كما يصفه محفوظ: هل تظن أننا فاضيين للصحافة، وعلى كُلٍ ما كتبته عن الدستور غير صحيح.. اسمع أنت وزملاءك، الجلسات المطولة المفتوحة اللى كان بيعقدها معكم الرئيس انتهت ولن تتكرر، كما أن الأحاديث التليفزيونية لن يُسْمح بها بعد الآن.. إذا قال الرئيس استمع ولا تنقل عنه؛ فهو لا يعرف أن ما يقوله غير صحيح!!

صورة مختلفة لجمال مبارك، ولكن بعد ضياع الصولجان والخروج من القصر لدخول قفص الاتهام، يرسمها آخر رؤساء تحرير عصر «مبارك».. اتصل به صديقه على «الفيسبوك» الشاب الذى يصغره بثلاثين عاماً كريم حسين أدمن صفحة «آسفين يا ريس»؛ لحضور فرحه، فلبّى الدعوة رغم بُعد المسافة بين منزله والفندق الذى يقام

فيـه الحفـل فى الهـرم، وجـد «جـمال» هنـاك، وقـد وقـف مرحبـاً بالصحفـى الكبـير وتعانقـا طويـلاً.. سـأله عـن الزمـلاء وبعـض السياسـيين مـن الزمـن المـاضي.. كلـما سـأل أحـد «جـمال» عـن ترشـحه للرئاسـة أجـاب حسـب المناسـبة: خلينـا فى الكـورة، أو إحنـا فى فـرح، أو نتكلـم بعـد الأكل.. السـؤال الوحيـد الـذى يجيـب عنـه هـو صحـة والـده.. ليـس متعجرفـاً متأففـاً متعاليـاً، وإنمـا خفيـف الظـل بـروح مصريـة، بشـهادة محمـد عـلى إبراهيـم.

مـا تنـشره الصحـف عـن الأبـراج يؤلفـه زمـلاء فى بدايـة عملهـم، والبعـض يجعلـون منـه حكايـات غـرام.. ولكـن مـا حـدث فى «الجمهوريـة» مختلـف؛ إذ اتصـل فى الصبـاح الباكـر رجـل مهـم عـلى التليفـون الخـاص برئيـس التحريـر، وكان الزميـل «محمـد عـلى إبراهيـم»، سـأل بجديـة أقـرب للغضـب: قريـت البخـت فى جريدتـك النهـارده يـا محمـد؟ اندهـش، فلـم يتصـور أن مـن مهـام رئيـس التحرير قـراءة البخـت فى الصحيفة قبـل أن يُنـشر، ولا حتـى بعـده! فتوقـع شراً.. بسرعـة تصفـح الجريـدة، وتعلقـت عينـه بالـبرج الـذى ذكـره محدثـه، وقـد أضـاف: هـذا الـكلام لا يليـق بـبرج الرئيـس!

من يومها ورئيس التحرير
يقرأ البخت قبل المانشيت!

قليلـون جـداً مـن التقـوا بـ»مبـارك» بعـد عزلـه، ولكـن كثيريـن تحدثـوا عـن اللقـاء حتـى ولـو لم يحـدث: طبـاخ الرئيـس طلعـت زكريـا، والفنـان حسـن يوسـف، والممثلـة وفـاء عامـر، والطبيبـة الكاتبـة لميـس جابـر زوجـة الطبيـب الفنـان يحيـى الفخـرانى التـى اسـتنكرت مـا يقولـه كارهـوه أنـه لم يكـن هـو صاحـب الضربـة الجويـة فى حـرب أكتوبـر: يعنـى «أمـى اللـه يرحمهـا هـى صاحبتهـا».. أمـا مـن أشـاع قصـة التوريـث فهـو سـعد الديـن إبراهيـم وأمريـكا اسـتفادت منهـا.. عندمـا سـألت «مبـارك» عـن التوريـث قـال: «هـو أنـا حافـظ الأسـد ولّا إيـه؟!».

زارته مرة واحدة فى مستشفى المعادي، وتحدثت إليه تليفونياً.

يقـول مكـرم محمـد أحمـد إنـه عندمـا كان حسـنى مبـارك رئيسـاً حـرص عـلى علاقتـه بـكل الصحفيـين حتـى الذيـن يعارضونـه، وكان يعطـى إحساسـاً لـكل صحفـى يلقـاه بأنـه الأثـير لديـه، ولـو أن الجرائـد بالنسـبة لـه لم تكـن أكـثر مـن «بغبغـان»!

كان يحـب النكـت، وإذا كان الفنـان «المنتـصر باللـه» قـد اشـتهر بأنـه واحـد ممـن يُدخلـون السـعادة عـلى الرئيـس، فإنـه مـن بـين صحفييـه مـن يضحكـه: ممتـاز القـط وأحيانـاً سـمير رجـب..

غضـب مــن «مكـرم» ثـلاث مـرات، وخاصمـه شـهوراً، آخـره السـؤال

وجهه فى حديثه معه للمصور: هل كان ابنه «جمال» يتاجر فى ديون مصر.. مع أنه كان يعرف السؤال سابقاً وقد أجاب عليه بهدوء.

لم يكن يطيق وزير خارجيته عمرو موسى، وعندما طلبت مادلين أولبرايت عند اجتماعها بالرئيس عدم حضور «موسى» ووافق «مبارك»، سمع صوت الوزير عالياً مجادلاً..

سأله «مبارك» مرة مازحاً أو لعله أراد أن يكايده: يقولون إن فى مصر خمس وزراء خارجية، أجابه: نعم سيادتك، وأنا، وعمر سليمان، وصفوت الشريف، وأسامة الباز.. ولم تعجب الإجابة الرئيس!

فى إحدى جلسات حسنى مبارك قال: تعرفوا ليه أنا باحب سمير رجب أكتر من «نافع» و»سعدة» و»مكرم»؟

ويجيب: لأن الثلاثة لما يهاجموا واحد زى «سراج الدين»، يبدأ كل منهم بـ»مع احترامنا الشديد لتاريخه ودوره ومكانته، أنما هو ابن كيت وكيت.. ولكن «سمير» يدخل فى الموضوع على طول ويقول له إنت ابن كيت، وهوه ده الشغل!

غير أن أهم ما يبقى من حكمة «مبارك» هو ما قاله فى أعقاب آخر انتخابات نيابية فى عهده، والتى لم ينجح فيها معارض واحد بتعليمات وترتيبات.. عندما سُئل عن رأيه فى تكوين المعارضة مجلس شعب موازٍ، قال ساخراً: «خلليهم يتسلوا»!

وعندما رشحت مصر وزير ثقافتها الحائز على ثقة الرئاسة -فقد بقى وزيراً لسنوات طويلة متتالية- لمنصب مدير منظمة الثقافة والعلوم «اليونسكو» بذلت مصر جهوداً مكثفة وصرفت أموالاً طائلة قُدّرت بملايين الدولارات.. ولكن وزيرنا لم ينجح، وعاد محرجاً لولا أن اتصل به الرئيس «مبارك» فور وصوله إلى مطار القاهرة، قائلاً

ضاحـكاً: «ارمِ ورا ضهـرك».

غريـب أمرنـا نحـن المصريـين.. نعشـق الفراعـين بـل ونعبدهـم.. نقيـم لهـم التماثيـل ونسـجد لهـم «أطيعـوا أولى الأمـر منكـم».. نسـمع الـكلام ولـو أدخلونـا السـجون «عـذاب سـيادتكم نعيـم».

لا أريـد أن أجلـد نفسى وأجلدكـم، ولكـن مـا جـرى مـع الرئيـس الأسـبق «حسـنى مبـارك» يثـير العجـب.. ظـل الفيلـم ممنوعـاً مـن العـرض أكـثر مـن عشريـن سـنة.. فلـما أذاعـه التليفزيـون المـصرى قبـل أيـام تذكرنـا «حائـط البطـولات» ومـا جـرى لـه..

تـم منعـه بـإصرار رغـم موافقـة الرقابـة والمخابـرات والأمـن القومـى والدفـاع الجـوي، فالفيلـم يتنـاول بطولـة رجالـه وقائدهـم وقتهـا «الفريـق محمـد عـلى فهمـي».. ولكنـه لم يذكـر «مبـارك»!!

سـافر منتـج الفيلـم الدكتـور «عـادل حسـني» إلى «باريـس» أثنـاء زيـارة للرئيـس لفرنسـا مـع مجموعـة الصحفيـين المرافقـين، والتقـى بـه فى حديقـة قـصر «الإيليزيـه».. قـال لـه «مبـارك»: ألا تعـرف أنـه لـولا الضربـة الجويـة الأولى مـا انتصرنـا فى حـرب أكتوبـر؟!

قـال لـه فيـما بعـد سـكرتير الرئيـس «مبـارك» المقـرب اللـواء «أبـو الوفـا رشـوان» أن هنـاك مـن قـال لـ«مبـارك» إن الفيلـم تجاهلـه.

حـاول المنتـج مـرة أخـرى مـع المجلـس العسـكرى بعـد ثـورة ينايـر، فدخـل فى دوامـة أخـرى.. حتـى فتـح اللـه عـلى القنـاة الأولى، وأذاعـت فيلـم «حائـط البطـولات».

لـن يعـود مبـارك بظهـور «جـمال» عنـد سـفح الهـرم، أو بمـا كتبـه «أحمـد عـز» فى مقالـه «دعـوة للتفـاؤل»، أو بظهـور «حسـام بـدراوي» عـلى شاشـات التليفزيـون مـن حـين لآخـر، أو بإصـدار الصحفـى أحمـد مبـارك

(تشـابه أسـماء) كتـاب «رجـل العاصفـة»، ينصـف فيـه الدكتـور حسـام.. أو بعـودة «أحمـد نظيـف» أسـتاذاً بهندسـة القاهـرة.. ولا بـ«صبـاح الخـير يـا مـصر» والمذيـع «جـورج رشـاد» يشـيد بحسـنى مبـارك بطـلاً لحـرب أكتوبـر، ويقـول إنـه لم يقـل غـير مـا كتبـه التاريـخ، ، فقـط أعطـاه حقـه أمـام التزويـر والافـتراء الـذى روّجـت لـه ثـورة ينايـر..

لم يكـن كافيـاً أن تمنعـه «هنـاء سـمري» مديـر عـام قطـاع الأخبـار مـن الظهـور فى برنامـج «صبـاح الخـير يـا مـصر»، فالغضـب وغـيره شـديد، ورأيـك الشـخصى أنـت حـر فيـه، ولكـن ليـس عـلى شاشـة التلفزيـون.. إذا أردت أن تخلـع ملابسـك لا تقـترب مـن الاسـتديو، ادخـل غرفـة النـوم!

عندمـا اتصلـت بصديقـى الإعلامـى «حمـدى قنديـل»؛ للاطمئنـان عـلى صحتـه، فـإذا بزوجتـه نجـلاء فتحـى الفنانـة الشـجاعة الواعيـة التـى لا يأفـل نجمهـا ثائـرة للغايـة مـن «جـورج» وأمثالـه، ومـا يذيعـه التلفزيـون الرسـمي، ولا تعـرف كيـف تـرد عليـه، وتلـزم الجميـع حدودهـم، وهـى وغيرهـا حتـى الذيـن لا يتكلمـون يعرفـون كيـف يأخـذون حـق الشـعب.

ولـو أن الشـاعر «أحمـد فـؤاد نجـم» مـا زال بيننـا لدنـدن بقصيدتـه: «حمامتـك يـا ريـس» التـى لا أسـتطيع أن أنـشر مـن أبياتهـا إلا:

«ملعون أبو اللى يقدر يقاطع قرارك

نهاره مقندل وليله مبارك

فهمبك وهيص وطلَّع فى دينّا»!

الفساد بدأ مبكراً

تقدّم النائب علوى حافظ، وهو عضو سابق فى حركة الضباط الأحرار، باستجواب صاخب عام ١٩٩٠ عن «عصابة الأربعة» الذين يحققون مكاسب بملايين الدولارات بغير حق من صفقات نقل كل ما تحصل عليه مصر من أسلحة أمريكية سواء معونة أم مشتراة.

بدأ الخيط من تقديم حسين سالم الذى علا صيته فيما بعد للمحاكمة أمام إحدى محاكم ولاية فرجينيا الأمريكية؛ بتهمة إنشاء شركة وهمية تتربح من أموال المعونة الأمريكية.. وأرسلت وزارة العدل الأمريكية أسماء الأربعة الكبار التى وردت فى الاتهام إلى الحكومة المصرية التى تكتّمت على الأمر، حتى قدم علوى حافظ استجوابه عن «عصابة الأجنحة الأربعة»، فأسرع الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب بمنع تلاوة الأسماء فى المجلس، وأكمل النائب كمال الشاذلى برفع الأسماء تماماً من المضبطة، فتختفى الأسماء تماماً، ولكنها وجدت طريقها للنشر فى أكثر من كتاب مثل «المطاردة» لمان هنت بيتر، و«القناع» لبوب وودوارد الصحفى الأمريكى الذى شارك بعد ذلك فى كشف فضيحة ووترجيت التى أطاحت بالرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون، وكتاب «اللعبة» لرجل المخابرات الأمريكية الشهير مايلز كوبلان.. وأضاف علوى حافظ كل التفاصيل وبالأسماء فى كتابه «الفساد».. هكذا عرفنا أسماء ثلاثة من الكبار هم: عبدالحليم أبو غزالة، وحسنى مبارك، ومنير ثابت.. أما رابعهم فحسين سالم.

بيزنس آخر مختلف هو التجارة فى حمير مصر، كشف عنه الباحث البريطانى روبرت سبرنجبورج، وأول صفقة جمع الحمير «١٠ آلاف» وبيعها لأمريكا، ومنها إلى المجاهدين الأفغان يستخدمونها فى حربهم ضد السوفييت، حيث الجبال الوعرة بأزقتها يستحيل فيها نقل العتاد والسلاح إلا بالحمير!

كان «أبو غزالة» وقتها رئيس بعثتنا العسكرية فى واشنطن أيام سنوات تدفق الأسلحة الأمريكية على مصر بعد توقيع اتفاقية السلام مع «إسرائيل».. و»مبارك» أصبح نائب الرئيس.. وترددت أسماء كمال حسن على الذى أصبح رئيساً للوزراء.. ورجل الأعمال محمود الجمال الذى أصبح بعد ذلك صهراً لمبارك.. وتردد أن خلافاً شديداً وقع مع الفريق أحمد بدوى قائد الجيش الذى سقطت به، مع عدد من جنرالاته طائرة هليوكوبتر.

مرت السنوات، وأصبحت صفقة بيع الحمير للتصدير حدوتة فى مسلسل تلفزيوني!!

وفساد القصور الذى أصبح قضية بعد عزل «مبارك»؛ إذ أدانته المحكمة لما كان يرتكب فى تنفيذ أعمال صيانة القصور وعمل الديكورات وشراء الأثاث والأجهزة الكهربائية ليس فقط للقصور الرسمية، وإنما أيضاً للسكن الخاص لجميع أفراد الأسرة.. كانت المستندات تزوّر يقدمها مقاولون لتصرفها المقاولون العرب بعد تسجيلها تحت بند صيانة خطوط اتصالات الرئاسة.. قصة مريبة احتفظ البعض بمستندات قدّموها للمحكمة، فكانت الإدانة.

لم يبقَ سوى كلاب القصر:

كان يستيقظ مبكراً، ويتناول طعام الإفطار، ثم ينزل إلى الحديقة، ومعه كلبه، ويطلب البوستة من سكرتيره.. يصف الدكتور مصطفى

الفقى الكلب بأنه «زى الجاموسة»، وعندما ذهب يحمل أوراقه يقدّمها للرئيس بصفته سكرتيره للمعلومات وقف بعيداً خائفاً من الكلب المرعب، وطلب من الرئيس أن يأمر بربطه فى شجرة، ولكن «مبارك» تجاهل الأمر قائلاً: هات البوستة ده قرار جمهوري.. فتقدم مرتعشاً، بينما «مبارك» يسأله: لو هاجمك هتعمل إيه؟ قال «الفقي» بتلقائية: همسك فى حضرتك! أجابه: هيكون آخر عمرك؛ لأنه مدرّب على الفتك بمن يلمسني!

مات الكلب عام ٢٠٠٥ قبل أن يشهد نهاية سيده..

أما مستشار الرئيس الدكتور أسامة الباز، فقد لاحظ «الفقي» أثناء جلوسهما مع الرئيس فى الحديقة أن «الباز» قد جحظت عيناه، وتسمّر فى مكانه فاقداً النطق والحركة؛ إذ كان الكلب الضخم، واسمه «برنس» يلحس قفاه!

عرف مصطفى الفقى الكثير وقال الكثير، ولو أن الرئيس «مبارك» قال للصحفيين المرافقين له على الطائرة يوماً مشيراً إليه: «إوعوا تفتكروا إنه عارف حاجة، ده ما يعرفش أى حاجة»!

الدكتور مصطفى الفقى فى «اعترافات الخريف» يقول إن الرئيس «مبارك» كان يداعبه أحياناً قائلاً: «إنت زى طواحين الهوا»، ويقول «الفقي» إن هذا صحيح؛ لأنه كان مع السلطة أحياناً، ومع المعارضة فى أحيان أخرى.

السيدة الأولى كانت تحب الببغاوات، وعندها فى القصر ثلاثة، كلما شاهدوها صاحوا برقة: «سوزي».

يتذكر الدكتور رفعت السعيد أجواء الثورة، ولكن من الجانب الآخر: كان رئيس «دولة التنصت» يعمل حساباً للتنصت على

مكالماتـه، فـكان يجـرى الاتصـال مـن تليفـون رقـم ٩٩٩٩٩ ليبلغـك مـن يقـول لـك انتظـر مكالمـة مـن الرئيـس عـلى التليفـون الأرضي.. لم يكـن يثـق فى الموبايـل، يـراه مراقبـاً.. فى البدايـة كانـت الاتصـالات تتـم مـن خـلال جـمال عبدالعزيـز سـكرتيره الخـاص، ثـم تدريجيـاً لم يعـد يمكـن الوصـول إليـه، إلا عـن طريـق زكريـا عزمـي، يسـميها «حلقـة النـار»؛ مـن يجـازف باختراقهـا تبـدأ المؤامـرات ضـده حتـى يحـترق..

عندمـا اخـترق رفعـت السـعيد الحلقـة بـإذن مـن «مبـارك» وترتيـب مـن وزيـر الإعـلام أنـس الفقـى كان الحديـث عـن انتخابـات ٢٠١٠، وعندمـا قـال «رفعـت» إن الأمـر يهـدد مصداقيـة النظـام ككل.. ضحـك مبـارك قائـلاً: مـش أوى كـده!

لم يكره الناس حسنى مبارك، ولكنهم لا يريدونه رئيساً.. ولا جمال!!

لـن يعـود «مبـارك» ولا عـصره.. ولا أحمـد شـفيق.. ولا «البرادعـي» وكل الذيـن لمعـت أسـماؤهم فى زمـن مـا بعـد الثـورة..

أفضـل وأصـدق مـا قيـل مـن أول يـوم عـن «البرادعـي» فى عـز قبـول النـاس لـه، وظهـوره بصـورة مبـشرة مـع ثـورة ينايـر، كان مـا كتبـه «حمـدى قنديـل» -شـفاه اللـه- فى كتابـه «عشـت مرتـين»: «انطلقـت سـيارته، وانطلـق بهـا وسـط جمـوع الشـباب الذيـن كانـوا قـد جـاءوا، وقضـوا سـاعات فى سـاحة المطـار ينـادون باسـمه، لم تتوقـف السـيارة لتحيّتهـم، وإنمـا انطلقـت بسرعـة حمقـاء، لا تمكّنـه مـن أن يطلّ عليهـم مـن كرسـيه الخلفـى وراء زجاجهـا المغلـق.. لم يعقـد مؤتمـراً صحفيـاً واحـداً، ولا أعـرف إن كان ينفـر مـن النـاس أم يحتقرهـم؟ أبقـى رقـم هاتفـه المحمـول سراً عـلى الجميـع، وتواصلنـا معـه عـبر شـقيقه عـلي.. خـان الأمانـة التـى علّقهـا عليـه أنصـاره.. لا يقبـل رأيـاً آخـر.. البرادعـى ليـس منـا».

طالـب عضـو مجلـس نـواب بسـحب «قـلادة النيـل» التـى سـبق وكرّمـت مـصر محمـد مصطفـى البرادعـى بهـا، وهـذا ليـس إهانـة للرجـل، وإنمـا لأعـلى الأوسـمة المصريـة! لا يبقـى إلا أن نسـمع مـن يطالـب بسـحب جائـزة «نوبـل» مـن البرادعـي!!

فريد شوقى يحرر طابا!

الرجـل الكبـير رمـز للـماضى الكئيـب، وقـد بلـغ مـن العمـر عتيـاً. لـن ينفعـه أى تكريـم. هـو الـذى لم يكـرم مـن أعـادوا طابـا بالتحكيـم، بـل وانشـغل عنهـم يـوم الاحتفـال برفـع العلـم.. يقـول «نبيـل العـربي» الوزيـر والسـفير وأمـين الجامعـة العربيـة السـابق الـذى كان واحـداً مـن خـيرة أبنـاء مـصر أصحـاب الجهـد فى تحريـر آخـر نقطـة فى سـيناء: «انتظرنـا يـوم رفـع العلـم المـصرى عـلى طابـا، وقـد أخبرونـا بـأن الرئيـس الأسـبق سـوف يصافحنـا، ففوجئنـا بأنـه مـا أن رأى فريـد شـوقى حتـى تركنـا واتجـه إليـه وإلى يـسرا وهشـام سـليم.. ثـم غـادر المـكان ونحـن واقفـون فى الانتظـار.. حتـى لم يصافـح المكرّمـين.

يقـول «عـماد الديـن أديـب»: النـاس فى بـلادى تـأكل لحـم حمـير، وتـشرب مياهـاً معدنيـة مغشوشـة، وتـسرق الكهربـاء مـن أعمـدة نـور الحكومـة، وتغـشّ فى ميـزان رغيـف العيـش، وتبيـع لـبن الأطفـال منتهـى الصلاحيـة، وأدويـة بـلا فاعليـة... فى الوقـت الـذى يـزداد فيـه عـدد الذيـن يذهبـون لأداء مناسـك العمـرة!

وكتبـت الصحفيـة المناضلـة «أمينـة شـفيق» عـن الوزيـر السـابق أحمـد البرعـى حكايـة حدثـت بالفعـل:

فى إحـدى مدارسـنا الخاصـة للغـات والغاليـة بالمصاريـف طلـب منـى التلاميـذ كتابـة موضـوع تعبـير عـن حيـاة أحـد الفقـراء، فكتـب أحـد التلاميـذ التـالي: «الفقـير هـو الـذى يخدمـه طبـاخ فقـير، ولديـه فى بيتـه

كلب بلدي، ويملك سيارة نصر صغيرة».

ليس هناك رد فعل، فقد اعتبرها الجميع نكتة، بعد أن أصبح ذلك مفهوماً سائداً عند بعض العائلات فى بلد زادت فيه المدارس الخاصة جداً، و»باظت» المدارس الشعبية جداً!

كاريكاتير بالريشة والقلم

من زمان وأنا أحلم بكل شيء..

اشتريت «عوداً» فى شبابي وغنيت لأصحابي أغانى عبدالوهاب!

والغريب أننى عدت لنفس الحلم يوم أن بلغت سن المعاش، أحببت أن أعزف «كمنجة» لولا أنه «بعد ما شاب!».

من بين أحلامى كان رسم الكاريكاتير، فصاحبت أحمد طوغان، واقتربت من مصطفى حسين، وأحببت عبدالسميع، وفرحت بلقاء جورج البهجورى صدفة فى باريس، وأعجبت بمدرسة «روزاليوسف»: حجازي، والليثي، وبهجت، واللباد، وجمعة... وآخرون كل منهم أستاذ فى سخريته.. وصاحبت ماهر ونبيل ثنائى كاريكاتير «الجمهورية».. واقتربت من تاج.. وأعجبت بـ«عمرو» ابن صديق العمر جمال سليم.. واحتفيت بمن اقتحمن الميدان وأولهن دعاء العدل.. وبالجيل الجديد الذى يرهقنى التعرف على أسمائهم؛ لأنهم يوقعون بحروف بهلوانية.. كلهم أحبابي، ولكننى لم أعرف كيف أمسك بالريشة.. بالكاد أمسكت بالقلم.. وكله كاريكاتير!!

وفى مجلة «كاريكاتير» كانت لنا أيام

لم يكتب قصتها أحد، لا رئيس تحريرها أشهر رسامى الكاريكاتير «مصطفى حسين» ولا «أحمد طوغان» صاحب فكرتها الذى حارب الاستعمار بالريشة والبندقية فى مصر والجزائر واليمن، ولا صاحبها

رجـل الأعـمال الغـاوى «يحيـى زيـدان».

كلـما تكلمـت مـع الرسـام «تـاج» فى شـؤون شـتى لا بـد أن تكـون المجلـة الفريـدة فى نوعهـا جانبـاً مـن الحديـث.. فقـد سـاهم فى نجاحهـا مـع كوكبـة مـن الرسـامين الفنانـين والكتـاب السـاخرين، منهـم مـن تـرك لنـا الحيـاة، ومـن يواصـل العطـاء إلى جانـب أجيـال جديـدة تسـعدنا.

عـاد «تـاج» للجمهوريـة يغـرد بالألـوان عـلى صفحتهـا الأخـيرة يضيـف إلى الفنانـين الآخريـن سـعيد فرمـاوى ومصطفـى كامـل.. وأيـن «فـرج»؟

كان هنـاك «جـورج»، و«جمعـة»، و«ناجـي»، و«رؤوف»، و«سـليمان»، و«نزيـه»، و«سـمير عبدالغنـي»، و«سـمير عبدالخالـق»، و«عمـرو فهمـي»، وكل الموهوبـين تقريبـاً: وعفـواً إن كنـت قـد نسـيت نجـماً أو شـاباً..

على رأس الفريق الرسام الفيلسوف حامل الريشة والحكمة «حاكم».

وتقريبـاً كل كتـاب مـصر السـاخرين: «يوسـف عـوف، ووحيـد حامـد، وأسـامة أنـور عكاشـة، وعـلى سـالم، وفايـز حـلاوة، وعبداللـه أحمـد عبداللـه «ميـكى مـاوس»، ويوسـف معاطـي، وأحمـد بهجـت، ومحمـد مسـتجاب، ولينـين الرمـلي، وفـؤاد معـوض «فرفـور»، وحسـام حـازم، وبـدر نشـأت، وسـمير الجمـل، والناقـد الريـاضى حمـدى النحـاس».. ومجموعـة مـن الشـباب الواعـد «مجـدى صابـر» الـذى أصبـح واحـداً مـن أكـثر كتـاب المسلسـلات التليفزيونيـة شـعبية.

وقــد رأس تحريــر المجلــة بعــض الوقــت متعــدد المواهــب «أنيــس منصـور».. وأذكـر أنـه كتـب مقـالاً هاجـم فيـه الرئيـس السـورى وقتهـا «حافـظ الأسـد» دون مناسـبة، وكانـت المجلـة تتبنـى مواهـب الفنانـة السـورية الواعـدة «أصالـة»، فغضبـت غضبـاً شـديداً، وأظنهـا كانـت آخـر

علاقتها بالمجلة.. والغريب أنه رغم علاقة «أصالة» الحميمة بأسرة «الأسد» من «حافظ» إلى «بشار»، فقد اختلفت بشدة مع النظام السورى حالياً!

فلما جاءنا الفنان الجميل «عبدالغنى أبو العينين» أصبحت أيامنا فى «كاريكاتير» أكثر جمالاً، فهو صانع كثير من المجلات والصحف يضفى عليها بهجة، وهو مصمم أزياء فرقة الفنون الشعبية المتميزة، وصاحب لوحات لها مذاق خاص.. وكان من حظّى أننى عرفته أكثر فى «كاريكاتير» ثم فى جريدة «الجمهورية» عندما رأسها الروائى الفنان «فتحى غانم».

«أحمد رجب» اعتذر بـ ١/ ٢ كلمة فقد اختار «أخبار اليوم» فقط لم يتزوج غيرها طوال حياته الصحفية.

ذهبنا إلى الكاتب الجميل «حسين أحمد أمين» فى بيته بمصر الجديدة:

«أبو العينين» والفنان التشكيلى «إيهاب شاكر» الذى نذر نفسه لإسعاد الأطفال يذكر أبنائى منها «عندما يرقص الأسد»، والذى يرقِّصه هو الحمل الوديع.. وكنت معهم أراه لأول مرة.

بعد الترحيب وواجب الضيافة دخلنا فى الموضوع نريده أن يكتب فى مجلة «كاريكاتير».. بصراحة حاسمة وودودة سألنا عن مشاركة رأسمال سعودى فى المجلة، وهذا يجعله يرفض..

له تجربة مع دول الخليج لا تسرّ بل أصابته بالاكتئاب؛ إذ تسببت مقالاته فى مجلة «الدوحة» فى إصدار حكم من المحكمة الشرعية فى العاصمة القطرية، بفصل رئيس تحرير المجلة الناقد الأدبى الكبير «رجاء النقاش»، وترحيله مع توصية لجميع الأقطار الإسلامية بعدم نشر «سموم» حسين أحمد أمين.

فلما انتقلنا إلى طلباته المادية أجاب إجابة محيرة له ولنا، قال: والله ما أعرف، فأنا أكتب في جريدة كويتية تصدر من لندن بعد غزو «صدام حسين» للكويت، وأتقاضى ٥٠٠ جنيه في المقال، وأكتب في مجلة «الهلال» المقال بخمسين جنيهاً، وأكتب في «الأهالي» ببلاش!! ولم يكتب في «كاريكاتير».

لم أكن دائماً على قوة المجلة، وإنما كنت صديقاً دائماً يستدعونني فألبي، ويستبعدونني فلا أقاوم، ويتكرر الاستدعاء والاستبعاد، فكلهم أصدقائي.

هناك رأيته، الشاعر الرقيق الشاب وقتها «ياسر قطامش»، أحببته مما يكتبه رغم أننا لم نلتقِ كثيراً.. كان يأتي زائراً يحمل في يده قصائده أو مقالاً خفيف الظل، المهم أن يكون «حلمنتيشي» وينصرف إلى عمله مهندساً.. رأس تحرير مجلة نقابة المهندسين سنوات طويلة.

لم نتقابل من وقتها، لكن بقي الود في القلب، حتى أصدر كتابه الأخير «حوار من العالم الآخر»، سعيت لشرائه، وإن كان ناشره مكتبة «جزيرة الورد» ليس عند دليل التليفونات رقمها، كما يبدو أن هناك أكثر من ناشر بنفس الاسم في المنصورة، وفي أول شارع ٢٦ يوليو، وفي حي الأزهر.. سألت صديقي الشاعر «إبراهيم رضوان» المقيم في المنصورة، فوعدني خيراً، وفوراً وسأكلم الحاج فتحي، ولكنه انشغل بديوان شعره الجديد.. لجأت لزميلي الذي عنده الحل دائماً «أحمد عادل»، فقال: «ياسر» ده جميل سوف أتصل به؛ ليهديك كتابه.. وقد صدق.. اتصل بي الشاعر لنستعيد المشاعر الطيبة، ويسأل كيف يرسل حواراته مع الأموات من الفنانين والفنانات في العالم الآخر.. قلت: الأسهل أن تدلني على عنوان الناشر فأشتريه.. وافق بعد إلحاح مني، وقد كان عندي حق، فلم تكن لديه سوى نسخة واحدة.

لا يهـم كيـف اسـتطاع الوصـول إليهـم فى العـالم الآخـر، فهـو مهنـدس وشـاعر، الأهـم مـاذا قالـوا:

+ عبدالفتاح القصري:

سأله: إيه رأيك فى حكومتنا الجميلة؟

قـال: حكومتكـم جميلـة ازاي، ده أنـا جنبهـا أبقـى مارلـين مونـرو، وأنـا ممكـن أجيبلكـم بنتـى «الآنسـة حنفـي» تشـكل وزارة، وتعلمكـم الأدب وتقـضى عـلى التحرش!

+ محمد عبدالمطلب:

سـأله: تحـب تقـول إيـه لـكل وزيـر ومسـؤول عـن الغـلاء؟ قـال: مـا بيسـألش عـليّ أبـداً، ولا بتشـوفوا عنيـا أبـداً، يـا مـا ناديتـه واترجيتـه، إنـه يـرقّ شـوية أبـداً!

+ مارى منيب:

سـألها: نتخلـص مـن البلطجيـة إزاي؟ قالـت: سـيبونى عليهـم وأنـا أعمـل لهـم عمـل، قصـدى حـزب يأويهـم يلمّهـم ويقطـع رجلهـم، حـزب الحمـوات الفاتنـات!

+ زينات صدقي:

يا ما نفسى فى عريس يا رب اتحرش بيه ويتحرش بيّ ويتجوزني!

أمال فين الفتوات وأولاد البلد المجدع.. الدنيا جرى فيها إيه؟!

طيب إزاى نواجه التحرش؟

شوف يا روح ماما لما يمسكوا واحد «كتاكيتو بني» يجرسوه ويحلقوله زلبطة.

+ يوسف وهبي:

«من بيومى أفندى إلى شنبو فى المصيدة»..

سأله: لو رجعت دلوقتى تحب تمثل إيه وليه؟

- أمثّل «راسبوتين» علشان أقضى على الفوضى وأعلمكم الأدب يا غوغاء.. أنا عشت مع أولاد ذوات وأولاد الفقراء وأولاد الشوارع، لكن ما شفتش أولاد (!!) زيكم.. حتى شرف البنت اللى كان زى عود الكبريت ما يولعش غير مرة واحدة بقى فى زمنكم زى الولاعة يتولع زى ما انت عايز!

+ عبدالسلام النابلسي:

سأله: ما عندكش تفسير للى بيحصل ده؟

- روح اسأل «عفريتة هانم» وابنها «فتى أحلامي» فى بورتو طره.. أما أنا، فنويت أرجع للسينما الصامتة؛ لأنى حاسس إنى فى زمانكم ده زى «فريد الأطرش فى الزفة»!

+ محمود شكوكو:

سأله عن الفضائيات.. قال: يا جارحة القلب بإزازة، ونفسك تشبعى لطم فى جنازة.

يرحم الفنان «عبدالسميع» الذى رسم زمان غلافاً لمجلة «روزاليوسف» لرجل أنيق تبدو النعمة على وجهه وملابسه، يختال فى وسط الشارع ولا يهمه، والناس على الرصيف تنظر إليه بإعجاب.. والتعليق على الكاريكاتير: «معاه ٢٥ قرشاً»!!

رسم «عمرو سليم» مسؤولاً يقول للصحفيين: «إقالة وزير الداخلية صعب.. بس نوعدك بعد أول حادثة قطر.. حنشيلك وزير

النقــل»!

و»دعــاء العــدل» صــوّرت الصحافــة راقصــة باليــه. فكّــت قيــود ســاقيها. التــى صورتهــما «ســن قلــم».

يا خفى الألطاف!

يرحم الله الجميع ويرحمنا

كانت أيام حزن وغضب. ونحن نتلفت لا ندرى هل هو غضب من السماء. أم إن العيب فينا؟! ثم إن الدنيا كلها على هذا الحال.

لم يكن مجرد حادث طائرة، فعدد الضحايا لا يزيد كثيراً على عدد ضحايانا آخر دفعة فى ليبيا.

لا نعرف على وجه التحديد كيف قُتلوا؟ ولماذا؟ مثلما يحيط الغموض كالعادة بكل حادث طائرة. حيث ندخل فى متاهات «الصندوق الأسود» الذى لم ينفع مثلما حدث لطائرة ماليزيا التى انتهت إلى مجهول المخابرات أو العفاريت!! وما زلنا لا نعرف -بينما نعرف- سر سقوط طائرتنا منذ سنوات قرب شواطئ نيويورك.

سمعنا مرة أخرى من قال إن الطيار محمد شقير «توكل على الله» قبل الإقلاع. وهو ما سبق أن فعله الطيار «جميل البطوطي».. مع أننا فى بداية كل أعمالنا نتوكل على الله.. لا هو ضيق بالحياة ولا احتجاج.

وهذا أفضل من حكايات على لسان خبير استراتيجى -وما أكثرهم هذه الأيام- عن اختراعات مجهولة تطلقها فى السماء جهات غريبة من أى مكان فى العالم، ولا من شاف ولا من دري.. على سبيل المؤامرة!

حتى وصلنا إلى حدوتة المضيفة التى ذهبت تصنع كوباً من الشاى

فى «نصبة» الطائرة، فشبّ حريق عطل كل الأجهزة؟!

والحظ الذى يجعل راكباً تفوته الطائرة المنكوبة، أو ذلك الذى يبذل جهداً ويبحث عن واسطة تجد له مكاناً على طائرة الموت.. تذكّرنا بأن عضواً بارزاً بمجلس الشعب، وأن عضوا بالبعثة العسكرية المصرية إلى أمريكا تخلف عن ركوب الطائرة المنكوبة فى نيويورك، تذكرنا بأسطورة أيام «هارون الرشيد» عندما جاء «عزرائيل» يحذر أحد اتباعه الذى خاف، فاشتكى للخليفة فقال له: أنا ذاهب لرحلة صيد بعيدة سوف آخذك معي، فقد تبعد عن «عزرائيل». وقد كان. لولا أنه فور وصوله وجد من ينتظره ليقول: «غريبة كنت أعرف أنى سأقبض روحك هنا فى البراري، ولكنك لم تكن تبارح بغداد».. ومات فى الميعاد والمكان.

وصديقى الأردنى «سليمان عرار» -رحمه الله- وكان صحفياً ووزيراً ورئيساً لمجلس الشيوخ، وقد سقطت به الطائرة وهى تهبط فى مطار بغداد، ولم يصب بجرح ولو بسيط إلا حالة نفسية أدخلته المستشفى أياماً.. ولكنه مات فى عزبة صغيرة بالقرب من «دمنهور» وهو فى زيارة للريف المصرى مع صديقه المحامى الأديب صبرى العسكري.. لم يستيقظ من نومه الهادئ؛ إذ كان القدر ينتظره هناك!!

ولا يعرف أحد بأى أرض يموت..

حوادث الطائرات ليست الأكثر عدداً، ولكنها الأشد تأثيراً، فالإعلام عنها وتخيل الوفاة بين السماء والأرض ترعب النفوس.. بينما ضحايا القطارات والسيارات أكثر بكثير.. هذا ولا تتوقف الحركة والحياة.

تتشابه الحكايات ولا بأس، إلا أن يحتفل أصحاب القلوب البليدة بموت الآخرين على واحد ونص.. اختارت جريدة «المساء» مانشيتاً

على صفحتها الأولى يقول: «الحياة الحمراء لا حياء ولا خجل.. مصر تبكى ضحايا الطائرة و»رزان مغربي» فى وصلة رقص مع مطربين مجهولين».. الحقّ ليس على «رزان»!

فهناك برامج كاملة بالساعات لنسوان على «شلت» وأى كلام.. واستضافة لنصابة تحكى بالتفصيل خبابا العالم السفلي، وما يفعله الجن بالإنسان. والمذيعة تستمع إليها باندهاش فى انتظار المزيد من الخرافات التى تستخف بعقول البشر، وصولاً إلى الكلب الذى قتلته وأخذت حتة حساسة منه لبستها فى مكان أمين بجسدها.. بعد كل هذا الدجل يأتى البرنامج «الثقافي!!» بطبيبة تكشف على الفتاة لتقول: ماحصلش!

أى استهانة بالعقول، ونحن فى ظلّ تلك الهموم. وليس حادث الطائرة وحده؟

قطار الأمل

اهتزت مشاعرى وأنا أرى صورة نموذج لقطار والشاب الفلسطينى محمد لطفى واقف ببابه ينادى على اللاجئين فى مخيم بيت لحم يناديهم: «حيفا. يافا. عكا. بيت نتيف»، فيسرع كبار السن والشبان إلى القطار الذى يفترض أنه سيعود بهم إلى قراهم.. إنه حلم العودة لبيوتهم التى اضطروا للهجرة منها. وما زال بعضهم يحتفظ بمفتاح بيته القديم؛ لأنهم سيعودون، ويتركه لأحفاده؛ لأنهم سيعودون.

لم يتحرك القطار الذى كان متجهاً إلى القدس فى يوم ذكرى النكبة؛ لأن القوات «الإسرائيلية» تحاصر المكان.

مهما طالت الرحلة على متن القطار فإنه سيقف ذات يوم عند محطة الوصول.. الشاعر الفلسطينى الراحل محمود درويش كتب قصيدته «مقعد فى قطار»:

كل أهل القطار يعودون للأهل.. لكننا لا نعود إلى أى بيت

ويصبح القطار رمزاً فى كثير من الأشعار، والروايات، وعنواناً لأفلام سينمائية مثيرة.

ونحن دائماً فى المحطة.. يركبه المهاجرون السوريون إلى أوروبا؛ هرباً من جحيم حكامهم.

ويتخذه البعض مسرحاً للحب أو التجسس.. وتخيفنا «أجاثا كريستي» الشهيرة بروايتها التى أصبحت فيلماً سينمائياً «جريمة فى قطار الشرق».

ولقـد تأثـرت بالفيلـم المـصرى «سـاعة ونـص» الـذى دار فى قطـار، ووضـع الرجـل أمّـه «كريمـة مختـار» التـى تقـدّم بهـا العمـر فيـه، ودسّ فى يدهـا ورقـة بعنوانـه كتـب فيهـا: «مـن يجدهـا يضعهـا فى أقـرب دار للمسـنين أو المحسـنين».

ويعيـش النـاس فى الهنـد حياتهـم داخـل محطـات القطـارات. فلـما فكّـروا فى السـياحة جعلـوا مـن قطـارات المهراجانـات الخاصـة رحلـة للخواجـات يسـافرون بهـا عـبر البـلاد أكل ونـوم وفرجـة عـلى المـدن والآثـار، أطلقـوا عليهـا اسـم «قـصر عـلى القضبـان».

ولا أنـسى محطـة «سـيدى جابـر» قبـل الإسـكندرية بدقائـق، حيـث ينـزل معظـم الـركاب.. المغـزى يغـادرون الحيـاة.. ومـن لم ينـزل لـن يلبـث أن يصـل القطـار إلى محطـة مـصر

الموت فى السماء

فى صباح يوم بارد وجدت نفسى أحلّق فى الفضاء، أفتش فى الذاكرة عن أيام كدت فيها أفقد حياتي. فأحمد الله.

كنت سعيداً برحلتى الثالثة إلى أمريكا؛ لأنها كانت على حسابي وعلى مزاجي.. استضافنى صديقى «منير مصطفى» بصوت أمريكى فى بيته.. أعرفه من شهور قليلة قضيتها فى «الدوحة» أعمل بمجلة «الفجر» التى يرأسها «حلمى سلام»، وهو غنيّ عن التعريف.. «منير» كان مذيعاً براديو «قطر»، ذهب إلى هناك مكرهاً؛ إذ كان سعيداً فى «صوت العرب»، ولكن القدر جعله يذهب إلى قطب الاتحاد الاشتراكى «ضياء الدين داوود»، وكان أحد الذين يحكمون البلد.. يسجّل معه حديثاً.. جاءه تليفون مهم التفت بعده إلى المذيع، وقال: «تحب تروح بعثة فى ألمانيا»؟، ولم يكن قد عرفه أو رآه من قبل.. هكذا سافر مع عدد من الإعلاميين والصحفيين.. لم يكن يعرف أن الأمور سوف تتغير بعد أن تغيّر الرئيس من «عبدالناصر» إلى «السادات»، وتغير وزير الإعلام من «فائق» إلى «حاتم»، وتغيرت الاشتراكية إلى الانفتاح.. ولا بد من استدعاء البعثة، وأن يصبح من شارك فيها قائمة سوداء، فاستُبعدوا من أعمالهم بالإذاعة والتليفزيون، وتحولوا إلى المصالح الحكومية، وشركات القطاع العام.. وكان «منير» واحداً منهم.. قرر مثل آخرين غيره السعى للعمل فى إذاعات عربية أخرى؛ إذ كان الميكروفون عشقهم.. وكان حظ «منير مصطفى» راديو قطر.. ومنها بعد سنوات إلى راديو «صوت أمريكا».

فى الدوحـة عرفتـه، وفى واشـنطن أكـد عـلى إقامتـى معـه، ولـو مـن أجـل أحاديـث السـمر.. وكان اسـم زوجتـه السـورية «سـمر» التـى لا تقـل حفـاوة عـن زوجهـا -رحمه اللـه- مثقفـاً رقيقـاً يحلـو معـه السـمر.

فكّـرت أنـا وزوجتـى فى زيـارة خاطفـة لمدينـة أخـرى مجـاورة سـاعة مـن واشـنطن بالطائـرة.. ذهبنـا وتفرجنـا وسـعدنا حتـى عدنـا وأصبحنـا مـرة أخـرى بـين السـماء والأرض.. فجـأة تكهـرب الجـو، واربطـوا الأحزمـة، والطائـرة تعلـو وتهبـط بصـورة عنيفـة مخيفـة، والطيـار يخـبر الـركاب بالموقـف أولاً بـأول، وكلهـا أخبـار تسـتحق قراءة الفاتحـة.. الـذى جعلنـى أحـس بخـوف أكـبر هـو أن إحـدى المضيفـات جلسـت عـلى الأرض تبـكى بشـدة.

أخيراً هبطنا فى أول مطار يستقبلنا لنكمل الرحلة إلى «واشنطن».

الحمـد للـه زال الخطـر، وهـدأت العاصفـة، ولكـن مـا زالـت عنـدى مشـكلة؛ فزوجتـى ترفـض بشـدة أن تركـب نفـس الطائـرة مـرة أخـرى.. مـاذا أفعـل؟!

أيـام الشـباب والحـماس للسـفر إلى «بورسـعيد» -وأنـا مـا زلـت صحفيـاً تحـت التمريـن- حيـث قنابـل الإنجليـز والفرنسـيين و«الإسرائيليـين» تـدكّ المدينـة بالقنابـل الحارقـة.

لسـت غريبـاً عـن المدينـة؛ فقريتـى «العزيـزة» لا يفصـل بينهـا وبـين المدينـة الباسـلة سـوى بحـيرة المنزلـة، كنـا نعبرهـا فى مراكـب سـفر شراعيـة.. وكـم سـافرت إليهـا فى أيـام السـلم والصيـف، يشـجعنى فنـدق «القاهـرة» بالحـى الأفرنجـى يملكـه أحـد بلديـاتي.

لم تكـن «بورسـعيد» التـى عرفتهـا آمنـة مبتسـمة عـلى أنغـام «السمسـمية».. وجـدت شـوارعها شـبه خاليـة إلا مـن صـوت الرصـاص،

ووجـدت الفنـدق خاويـاً ليـس غـيرى وحـدى يقيـم فيـه.

حاولـت أن أجـد الصحفيـين الذيـن سـبقوني، وأولهـم «مصطفـى شردي»، وهـو بورسـعيدى أسـس صحيفـة «الوفـد»، وحقـق أمجـاداً كثـيرة بـدأت بالتقـاط صـور نـادرة لوحشـية العـدوان الثـلاثى تسـلل بهـا، وسـافر إلى «مصطفـى أمـين» عـلى طائـرة خاصـة وفّرهـا لـه «جـمال عبدالنـاصر» لتنـشر فى العـالم كلـه.

وكان الصحفـى الثـانى الفنـان الرقيـق الثائـر «عبدالمنعـم القصـاص»، وخطيبتـه الزميلـة النقابيـة الثائـرة «أمينـة شـفيق»، التـى تسـللت إلى بورسـعيد فى زى صيـاد.

لم أجـد أحـداً، فـسرت وحـدى أتابـع مـا يجـري، وأنتهـى إلى مقهـى أبوابـه شـبه مغلقـة، أكتـب رسـالة أحـاول أن أبعـث بهـا إلى القاهـرة.. «لم يُنـشر منهـا حـرف واحـد».

فى ليلـة اشـتدّ ضرب النـار والقناصـة يتربصـون، والذيـن اضطـروا للتواجـد فى الشـارع يحتمـون بالأعمـدة التـى تحمـى البيـوت البورسـعيدية وأنـا أفعـل مثلهـم.. كـدت أحـاصر ولا أعـرف مـاذا أفعـل، فالمـوت يقـترب منـي.

امتـدت يـد مـن بـاب بيـت قديـم تخطفنـى إلى الداخـل فأجـد غرفـة واحـدة.. أعطـونى السريـر الوحيـد الـذى يملكونـه وطبخـوا لى أرزاً بعـدس لم أذق مثـل حلاوتـه، قدّمـوه فى طبـق صـاج والدخـان يتصاعـد منـه.. نمـت نومـاً عميقـاً بعـد أن أصبحـت فى أمـان، أوصلنـى الرجـل فجـراً إلى بحـيرة المنزلـة لألحـق بآخـر مركـب شراعـى يغادرهـا، وأفاجـئ أمـى وأهـل قريتـى بظهـورى بعـد أن تصـورونى شـهيداً!

عنبر «٢» فى مزرعة طرة

ليلة ليلاء من خمسين عاماً، والجو خريف تتساقط فيه الأوراق، انتقلت من الدار للنار، من بيتى الدافئ إلى سجن مزرعة «طرة» الرهيب

وجدت الهوان، ومجموعة من الشبان، وقلة من كبار السن لم أكن أعرف منهم إلا القليلين، وإن سمعت عنهم أدباء وكتاباً ونقاداً وفنانين وشعراء ومناضلين كانت مواهبهم وضجيجهم حديث الناس.

كان هناك «جمال الغيطاني» -حالماً حزيناً- تقول زوجته الكاتبة «ماجدة الجندي»:

«أطلت فى طفولتى حتى أصبحت جدة».

«نحن بدونك بيت بلا سقف.. فيما بيننا تهمس بأجمل وأنبل ما يمكن أن يصل إلى أسماع امرأة: يا جميل، إحنا ما نسواش حاجة من غيرك».

«طيب إيه رأيك إنك طلعت مش عارف حاجة، وإن إحنا اللى من غيرك مأوى بلا جدران، وبيت من غير سقف، وإن انت الدلع والأحلام».

وكان هناك «عبدالرحمن الأبنودي» يملأ الدنيا صخباً وحياة، دخل القلوب بأشعاره التى تخاطفها كبار المطربين، وأولهم «عبدالحليم حافظ» الذى كان يسعى بشهرته للإفراج عن الابنودى ونحن معه، ويرسل خراطيش سجاير ينالنا منها نصيب.. وقد ودّعنا «الخال» من

قبـل، دون أن أزوره فى بيتـه بالإسـماعيلية، وأشـجار المانجـو التـى زرعهـا مـن حولـه، رغـم إغرائـه لى كلـما تحادثنـا تليفونيـاً بـأن المنجـة طابـت ع الشـجر.

وكان معـى فى نفـس سـيارة الترحيـلات أخـى «أحمـد»، وقـد دمعـت عيـونى وأنـا ألمحـه مـن عـين زنزانتـى ذاهـب إلى حجـرة التعذيـب بعـد أن انتقلنـا أفواجـاً للتحقيـق فى سـجن القلعـة.. ثلاثـة نالهـم أشـد العـذاب هـم «صـلاح عيـسي» يـكاد يكـون الوحيـد الـذى كتـب عـن بعـض مـا حـدث لـه فى مؤلفاتـه، و«محمـد عبدالرسـول» الـذى كتـب مـا جـرى، ومـا قبلـه فى كتـاب يتيـم أصـدره، و«أحمـد» -رحمـه اللـه- الـذى لم يحدثنـى أبـداً عـن تعذيبـه.

فى ليلـة رأس السـنة انطلـق صـوت «صـلاح» عاليـاً متشـنجاً، وهـو ممسـك بقضبـان شـباك العنـبر الوحيـد: أعطنـى حريتـى أطلـق يـديّ»، ونحـن معـه نحـاول اصطنـاع الفـرح والأمـل.. عندمـا انتصـف الليـل أنشـد الأبنـودي:

«فى داهيـة يـا سـنة ٦٧»، ومـن أغـانى سـيد درويـش: «بـس الأكادة حبسـة ظلومـة ويكفينـا شرك يـا دى الحكومـة».

مخرجـة الأفـلام التسـجيلية «عطيـات الأبنـودي» أصـدرت كتابـاً أحببتـه اسـمه «أيـام لم تكـن معـه»، كتبـت فيـه عـن تجربـة السـجن مـن الخـارج ومحاولاتهـا ومعهـا «إيفلـين» زوجـة سـيد حجـاب وقتهـا، وزوجـة زميلنـا فى المعتقـل كـمال عطيـة إقنـاع المسـؤولين، ومـن يؤثـر فيهـم الإفـراج عنـا.. قابلـوا «سـامى شرف»، ولم يقابلهـم «محمـد حسـنين هيـكل» كذلـك فعلهـا «فتحـى غانـم»، وسـعوا لإقنـاع وزيـر الداخليـة «شـعراوى جمعـة» وكل مـن توسـموا فيهـم خـيراً.. ولا حيـاة لمـن تنـادي، إلا «خالـد محيـى الديـن» الـذى ذهـب إلى شـعراوى جمعـة وسـاله: «إيـه حكايـة الأبنـودي؟» فأجابـه: «أبنـودى مـين»؟ قـال خالـد: «عـلى حسـب وداد قلبـي».. ردّ شـعراوي:

«وإنت الصادق تحت الشجر يا وهيبة»!!

وكان معى الشاعر الرقيق «سيد حجاب» نتمشى معاً فى الطرقة الطويلة بين العنابر نستمع كل صباح باكر من إذاعة القاهرة عبر ميكروفون السجن لأغنية من تأليفه:

«يا ما زقزق القمري

على ورق الليمون

عشان بلدنا يا وله

وعيون بلدنا يا وله

كله يهون»

هذا بينما «القمري» نفسه محبوس!!

وكان صديق عمرى «جلال السيد» الذى وصل متأخراً أياماً، فاستقبله ضابط السجن مطمئناً: «صاحبك جوه، سبقك» -يقصدني- كانوا يسمون الضابط «جزرة»، وتلك مسميات السجون ومن أشهرها «عنكب»..

كنا خارجين فسحة، فتلكأت أنا والأبنودي؛ إذ كان يشرح لى بحماس حلمه ببناء بيت على شط القنال عندما يخرج من المعتقل، ويرسم بإصبعه على جدار الزنزانة لعلنى أتصور، فإذا بواحد من العناكب يباغتنا ويتهمنا بأننا نعدّ خطة للهرب، الأمر الذى لم نفلت منه بسهولة!

وكان معى نزيل كل السجون العربية الروائى الأردنى «غالب هلسا»؛ حتى تم ترحيله بعد ذلك من سجن القناطر أيام السادات.. كانت آخر أعماله يكشف فيها بصراحة وسخرية أسرار الزملاء المثقفين

سماها «الروائيون» وفيها: هزمنا عام ٦٧ وكانت «سامية صادق» تشرح طريقة عمل «دقية البامية» عندما توقف الإرسال فجأة، وانطلق من الراديو مارش عسكري، وصوت المذيع: تم إسقاط أربعين طائرة للعدو.. ثم تعود دقية البامية!

وكان معى كثيرون أحسست بأنهم شلة أصحاب يعيشون حياتهم وملافاتهم وطموحاتهم على قهوة «ريش» أو «إيزافيتش»..

واحد منهم كان يكتب قصصاً بالعامية، يمتّ بصلة قرابة مع اللواء «حسن طلعت» مدير المباحث العامة فى ذلك الوقت.. أحبّ ممرضة واحتاج ١٥٠ جنيها ليتزوجها.. قال له بعد أن عرف بأزمته: أعرف أنك على علاقة بمجموعة مثقفين يعملون ضد النظام، أعطنى أسماءهم أعطك المائة وخمسين جنيه.

«يحيى الطاهر عبدالله» أصغر الجميع سناً، لم يكن يكتب قصصه القصيرة إلا بعد أن يقرأها كاملة بحماس على طريقته لكل من يعرفه، وأحياناً من لا يعرفه.. وقد ظل هارباً أربعة أشهر كاملة.. مات صغيراً فى حادث سيارة على طريق الواحات، قبل أن يشاهد الفيلم المأخوذ عن قصته «الطوق والأسورة».

سبقنا «صلاح عيسى» للسجن فى القلعة، قبل أن يشرّفنا فى طرة.

المفاجأة أننى اكتشفت وأنا داخل مزرعة طرة أن مصر كلها محبوسة هناك: إخوان، وشيوعيون، ووفديون، وثرثرة محامين، وحتى منظمة الشباب والتنظيم الطليعى (رجال النظام)، فلما أعيتهم الحيل، ولم يجدوا من ينسبونه إلى فريق بعينه أطلقوا على عنبرهم اسم النشاط المعادي.

وجيل سابق من المعتقلين المخضرمين: المفكر المناضل حتى الآن

«إبراهيـم فتحـي»، والناقـد المتميـز الراحـل «غـالى شـكري»، والأديـب المثقـف «عـلى الشـوباشي»، والطبيـب الـذى وهـب حياتـه للشـعب ثـم للقضيـة الفلسـطينية «رؤوف نظمـي» -الشـهير باسـم «محجـوب عمـر»، والعـمال «محمـد بـدر» بمصانـع النحـاس في»كرمـوز»، و»محمدعبدالغفـار» عامـل نسـيج، و»منصـور زكي» يجلّـد الكتـب فى المطابـع.. اخترنـاه مسـؤولاً عنـا، فمـن أول يـوم قـام بمسـح الأرض للنظافـة، وفى أول صبـاح دخـل علينـا يحمـل جـردلاً يتصاعـد منـه بخـار كثيـف، وهـذا هـو الشـاى يوزعـه علينـا، وأى مطلـب أو مشـكلة مـع الإدارة ينـوب عنـا فى حلهـا إلى آخـر مهـام «العمـدة».. عـمال جدعـان ومثقفـون واعـدون

لماذا لا تعتقل السلطة إلا المحترمين؟!

كنـا نسـتمتع مـما بروونـه لنـا مـن حكايـات معظمهـا ثوريـة وذكريـات مـن حبسـاتهم السـابقة.

كتـب الغيطـانى «هدايـة الـورى لمـا جـرى فى المقـشرة»، عـن سـجون المماليـك الرهيبـة؛ كى يطمـئن السـلطان عـلى حكمـه، ويضمـن طاعـة رعيتـه.. الزنزانـة والسـوط فى خدمـة السـيد الجديـد، وكان قبـل لحظـات العـدو الخارجـي.

ويتذكـر كيـف نمنـا عـلى الأسـفلت، الفـول تـلات مـرات و٧ زيتونـات، يسـتردّ الحـارس فى الصبـاح بـذور الزيتـون حتـى لا نلعـب بهـا، ولكننـا صنعنـا الشـطرنج مـن لبابـة العيـش!

فجـأة اسـتدعت إدارة السـجن ثلاثـة منـا؛ لمقابلـة وزيـر الداخليـة.. المطلوبـون بالاسـم «سـيد حجـاب» و»الأبنـودي» و»كـمال عطيـة»، وهـم الذيـن كانـت زوجاتهـم يسـعين للإفـراج عنهـم وعنـا.. جـرى البحـث عـن ملابسـهم التـى تركوهـا فى الأمانـات عنـد الدخـول، وقـد تكرمشـت وتبهدلـت، وليـس هنـاك وقـت لتهذيـب أى شيء.

غير أن للقصة أبعاداً أخرى..

كان المفكر اليسارى «لطفى الخولي» يحاول مع الفيلسوف الفرنسى الشهير «جان بول سارتر»؛ كي يزور مصر، و«عبدالناصر» صاحب الفكرة، ولكن «سارتر» اشترط الإفراج عن مجموعة المثقفين اليساريين المعتقلين، يعنى مجموعة عنبر «٢» مزرعة طرة.. وافق «عبدالناصر» بشرط أن يكون الإفراج عقب الزيارة وليس قبلها، وهوما كان.

يقول«سيد حجاب»: والد زوجتى السويسرية قس صديق لـ«سارتر»، وعندما حضر لمصر كان الاتفاق على الإفراج الذى تم عندما دخل «سارتر» الطائرة عائداً من مصر.

مات «غالى شكري» فى باريس بعد سنوات من الاغتراب، وكانت تنتابه حالات من الهلاوس الليلية فى أيامه الأخيرة على سرير بالمستشفى الأمريكى فى العاصمة الفرنسية، متخيلاً أنه فى المعتقل.

ركبت باخرة فى النيل قبل سنوات، كانت جمعية الكتاب السياحيين التى كنت عضواً بها تعقد مؤتمراً على متنها من الأقصر إلى أسوان، وكان معنا اللواء «منير محيسن» رئيس شرطة السياحة وقتها، وقد كان هو الذى يتولى التحقيق معنا فى سجن القلعة.. شاهدته ونحن نصلى الجمعة أثناء توقف الباخرة فى الطريق، كانت الدموع تملأ وجهه، لعله يستغفر ربه!

هذا المقال تحية لأرواح «جمال الغيطاني» و«الأبنودي» و«جلال السيد» الذى تركنى وحيداً.. والآخرين دفعة عنبر «٢» فى مزرعة طرة

ياما زقزق القمري!!

كُتب علينا أن نودّع أحباءنا واحداً تلو الآخر.. كنا نسير وراءهم ونتقبل عزاءهم حتى الفراق الأخير، ولكننا أصبحنا غير قادرين على أن نودعهم، بعد أن تقدّم بنا العمر، وأصابنا العجز والمرض.. لن نجد من يودّعنا!

أعرفه منذ التقينا فى عنبر أربعة بسجن مزرعة طرة قبل٤٧ عاماً معتقلاً مع مجموعة من الشباب الواعد، أدباء وشعراء عرفت مصر منهم عبدالرحمن الأبنودي، وجمال الغيطاني، وصلاح عيسى... وآخرين نفخر بهم ونعتز بإبداعهم.. وكانت هناك أيضاً مجموعة من الجيل السابق؛ من بينهم المفكر والناقد الأدبى إبراهيم فتحي، وغالى شكري... وبعض القيادات العمالية اليسارية ممن سبق اعتقالهم.. خلطة مباحثية لسبك مبررات الاعتقال، وكأن هؤلاء الأربعين شاباً وشيخاً سوف يهزّون عرش الرئيس عبدالناصر..

ثم إنهم كانوا يحبونه ويؤيدونه حتى وهم وراء أسواره!!

اقتربت من زميل الحبس سيد حجاب، ربما لأننا بلديات، وظل الود قائماً بعد أن باعدت بيننا الأيام، غير أنه كلما التقينا يبدو وكأننا لم نفترق يوماً..

نستيقظ مبكراً بعد ليل طويل بارد فى عز شتاء لا يرحم، حيث النوم على البلاط والمخدة فردة حذاء.. هكذا كان حال دولة انتهت إلى نكسة الستينيات!

نسير فى طرقة طويلة تفصل بين عنابر السجن، وجيراننا الوفديون لمجرد أنهم ساروا فى جنازة زعيمهم مصطفى النحاس باشا.. وهناك عنابر أخرى، وكأن كل طوائف مصر ممثلة فى مختلف السجون القديمة والجديدة!

كنا نسمع معاً كل صباح من إذاعة السجن أغنية «ياما زقزق القمرى على ورق الليمون».. يقول فرحاً حزيناً: كلماتى بس القمرى بيزقزق وصاحبه إيديه فى حديد!

تم الإفراج عنا بعد أقل من ستة أشهر، وبعد أن استدعى ثلاثة منا للقاء وزير الداخلية وقتها شعراوى جمعة؛ من بينهم سيد حجاب.. كانت زوجات المعتقلين الثلاثة قد بذلن جهوداً مضنية وصلت إلى بيت الرئيس فى منشية البكري؛ للتعريف بقضيتنا، وبالتالى الإفراج عنا، وهو ما سجّلته عطيات الأبنودى فى كتابها الجميل «أيام لم تكن معه».

وكانت إيفلين بورين سويسرية أبوها قسيس صديق للفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر، وقد سعت مصر لدعوته لزيارتها فوافق، ولكن بعد أن يخرج آخر معتقل يسارى فى السجون المصرية.. وافق «عبدالناصر»، ولكن فى ختام الزيارة؛ حتى لا يبدو شرطاً مسبقاً، وهو ما حدث!

بقيت إيفلين فى مصر، وما زالت تعيش فى قرية «تونس» مركز يوسف الصديق على ضفاف بحيرة قارون، تعلّم أطفال القرية متطوعة فنون الفخار والخزف، ويعيش فنانون مصريون بنفس القرية جاءها الفنان عبدالعزيز مخيون، وفيها الروائى عبده جبير، والتشكيلى محمد عبلة... وآخرون.

أما زوجة المعتقل الثالث؛ فقد توفاه الله مبكراً ولا أعرف شيئاً

عـن زوجتـه الشـجاعة!ندما عرفـت بمرضـه الأخـير أصابنـى اكتئـاب، وتحدثـت إليـه فى المعـادى حيـث يقيـم، وفى باريـس حيـث يتـم اسـتكمال علاجـه بالكيـماوي..

وقبـل أن يغـادر الدنيـا بأيـام طـاف كثـيراً بخيـالي.. طلبتـه تليفونيـاً فلـم يـردّ، قلـت سـوف يتصـل هـو بعـد قليـل، ولكنـه لم يتكلـم!

كنـتّ أشـارك أحيانـاً فى الصالـون الثقـافى الـذى يقيمـه الدكتـور أحمـد العـزبي؛ ربمـا لأن سـيد حجـاب كان يحـضره دائمـاً، يناقـش ويشـاغب مـع نخبـة مـن المفكريـن والإعلاميـين والفنانـين: الدكاتـرة يحيـى الجمـل الهـادئ، وحسـام عيـسى الصاخـب، والمهنـدس إبراهيـم محلـب، وفضيلـة الشـيخ عـلى جمعـة، ومصطفـى الفقـى الـذى يملـك مفتـاح خزينـة بهـا الكثـير مـن الأسرار، ورجـال القانـون الوزيـر أحمـد الزنـد، والمستشـار فـاروق سـلطان، وأحمـد زكى بـدر، فيـما بـين توليـه الـوزارة، وأسـامة هيـكل قبـل وبعـد أن أصبـح وزيـراً، والسياسـيون حمديـن صباحـي، وممـدوح حمـزة، وجـورج إسـحق، وعـلاء عبدالمنعـم، والكتـاب أمـين إسـكندر، وعبدالحليـم قنديـل، وعبداللـه السـناوي، وسـعد هجـرس، والصحفيـون عـادل حمـودة، ومجـدى الجـلاد، ويـاسر رزق، ومحمـود نافـع، وخـيرى رمضـان، ونبيـل عمـر، والأطبـاء عمـرو حلمـى وزيـر الصحـة الأسـبق، وخالـد عبدالغفـار أسـتاذ طـب الأسـنان، ومحمـود نافـع، وعبدالرحيـم عـلي، ومحمـود مسـلم، ورسـام الكاريكاتـير جمعـة فرحـات، والفنـان التشـكيلى طـه قـرني، والسـينمائيون خالـد يوسـف، وأحمـد عبدالعزيـز، وهـانى رمـزي، واللـواءات المهمومـون بشـؤون الوطـن عبدالسـلام المحجـوب محافـظ الإسـكندرية الشـهير -شـفاه اللـه- وحسـن الروينـى عضـو المجلـس العسـكري، ونبيـل شـكرى قائـد الصاعقـة الأسـبق..ً

ودائمـاً محمـد الخـولى أحـد نجـوم صـوت العـرب فى السـتينيات؛ فهـو

الـذى يديـر الجلسـات الصاخبـة أحيانـاً والسـاخنة دائمـاً، هـذا إلا إذا كان «الخـولي» فى نيويـورك كبـيراً لمترجمـى الأمـم المتحـدة.. وآخـرون أفاضـل كثـيرون.

فى اليوم الذى أحبه «٢٥ يناير» مات سيد حجاب

«مين اللى قال الدنيا دى وسية..

سوّانا رب الناس سواسية»

وقد كانت أحد شعارات ثورة يناير..

«يا فارس الحلم جيل بعد جيـل

دلوقتى لا شيء مستحيل»

قبلهـا كانـت مـصر كلهـا تغنـى كلماتـه تحفظهـا مـن العديـد مـن المسلسـلات التلفزيونيـة:

«اللى بنى مصر كان فى الأصل حلواني

عشان كده مصر يا اولاد حلوة الحلوات»

و.. «دنيا ولا صندوق الدنيا.. فيها ناس ألماظ وناس ألمونيا».

و.. «ليه يا زمان ماسبتناش أبرياء؟!»

ومعارضته لقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي:

«سلوا قلبى وقولولى الجوابا

لماذا حالنا أضحى هبابا؟!

وصرنا نعبد الدولار حتى

نقول له «انت ماما وإنت بابا!

وملياراتنا هربت سويسرا

ونشحت م الخواجات الديابا

أمير الشعراء عفواً واعتذاراً

لشعرك فيه أجريت انقلابا

دى مش دنيا يا شوقى بيه دى غابة»

سيد حجاب لم يمت، ما زال حيا بيننا، كل ما حدث أنه غيّر العنوان، من بيته فى المعادى إلى مدفنه فى الوفاء والأمل بمدينة نصر.

.

كشف المستور فى «غابة» الصحافة

أمسـك بالقلـم يكتـب، ويقاتـل، فى بـلاط صاحبـة الجلالـة.. نصـف قـرن مـن الزمـان.. وجـاءت شـهادته فى كتـاب سـجّل فيـه معاركـه، ونـشر أسـماء الأصدقـاء والخصـوم والشـهود، وكل مـن ظهـر فى المشـهد، فجـاء فى أكـثر مـن ٧٠٠ صفحـة.. ولعلـه مـا زال يحتفـظ ببعـض أسراره.

لـو عرفـت أننـى سـأكون أحـد المحرضـين لـه فى كتابـة مشـوار حياتـه فى بـلاط صاحبـة الجلالـة لفعلـت ذلـك مبكـراً، فمـن بـين الأكابـر مـن يسـتحق الفضيحـة.

كان أول المحرضـين «مصطفـى بهجـت بـدوي» الفـارس النبيـل الـذى أصـدر كتابـه «مذكـرات رئيـس تحريرسـابق» عـن تجربتـه رئيسـاً لمجلـس إدارة وتحريـر جريـدة «الجمهوريـة»، قـال فيـه كل مـا فى نفسـه، وروى بصراحـة مـا تعـرض له مـن مؤامرات.. ولعـل الزميـل الكبـير «عبدالقـادر شـهيب» يكمـل المشـوار فى كشـف بعـض المسـتور مـن خفايـا «غابـة» الصحافـة!

ولمصطفـى بـدوى موقـف آخـر إذ دفـع كفالـة ١٠٠ جنيـه لـ»شـهيب» حتـى يخـرج مـن سـجنه.. وذلـك دون معرفـة، وإنمـا كان يجمـع الكفالـة مـن الزمـلاء الصحفـى والسـياسى «حسـين عبدالـرازق»، فقـال لـه «بـدوي»: أنـا أدفعهـا، ولم يكـن ذلـك مبلغـاً قليـلاً أيامهـا.

لم أكـن أعـرف أن هـذا الفتـى الهـادئ الأنيـق «شـهيب» سـوف يفعلهـا ويفتـح النـار!!

«نصـف قـرن قتـال فى بـلاط صاحبـة الجلالـة» شـهادة عبدالقـادر شـهيب ورحلتـه الشـاقة الممتعـة فى دنيـا الصحافـة..

تأخـر صـدور الكتـاب؛ إذ قامـت ثـورة ينايـر، فكان الأكـثر إلحاحـاً كتابه «السـاعات الأخـيرة فى حكـم مبـارك».. ثـم «الإخـوان والحكـم.. فرصـة العمـر».. و«٥٠٠ يـوم مـن حكـم الجـنرالات».. و«السـاعات الأخـيرة مـن حكـم مـرسي».. و«اغتيـال مـصر».. كان المؤلـف شـاهداً ومشـاركاً وكاتبـاً.

بـدأ فى «الجمهوريـة».. واعتقـل فى ينايـر١٩٧٥ لسـتة أشـهر فى سـجن أبـو زعبـل، فيـما عـدا ليـالٍ قليلـة قضاهـا فى سـجن القلعـة.. وكان الاتهـام الانضـمام لتنظيـم شـيوعى سرى هدفـه مناهضـة الحكـم عـلى خلفيـة الاحتجاجـات؛ بسـبب تـردى الأوضـاع الاقتصاديـة، ورفـض الـدول العربيـة الغنيـة تقديـم العـون الاقتصـادى لمـصر إلا بعـد تلبيـة شروط صنـدوق النقـد الـدولى التـى تقـضى بإلغـاء دعـم السـلع الضروريـة وتخفيـض الجنيـه.. وقـد اعتقـل معـه الشـاعر محمـود توفيـق، والمحامى زكى مـراد، والصحفـى رشـدى أبـو الحسـن... وآخـرون، أمـا صديقـه أسـامة الغـزالى حـرب فقـد سـبقه فى الخـروج مـن السـجن.

حـل محسـن محمـد محـل مصطفـى بهجـت بـدوى فى رئاسـة مؤسسـة وتحريـر الجمهوريـة، فـكان نصيبـى أنـا وأسـامة الإبعـاد مـن «الجمهوريـة».. طلبـت أن أقابلـه أمـلاً فى أن يعـدل عـن قـراره، فوجئـت بـه يقـول لى بصراحـة شـديدة وقاسـية: أنـا لم أتخـذ قـراراً فقـط بمنعكـم مـن الكتابـة فى «الجمهوريـة»، وإنمـا اتخـذت قـراراً بمنعكـم مـن مجـرد دخـول المؤسسـة، وهـذه آخـر مـرة سـوف تدخـل فيهـا هـذا المبنـى.

الدكتـور أسـامة الغزالى بـدأ أيضـاً فى «الجمهورية» بقسـم الأبحاث الـذى كان يرأسـه الكاتـب الصحفـى الراحـل «فتحـى عبدالفتـاح»،

وكان المفـروض أن يتـم تعيينـه عندمـا كان رئيـس مجلـس إدارتهـا الأسـتاذ مصطفـى بهجـت بـدوي، ولكـن اعتقالـه عـام ١٩٧٥ أجّـل التعيـين، فلـما خـرج مـن المعتقـل كان قـد تـولى المنصـب الأسـتاذ محسـن محمـد، فذهـب إليـه يطالـب بتنفيـذ قـرار بتعيينـه.. فقـال لـه بصراحـة مدهشـة: «يـا ابنـى لقـد أتيـت إلى هـذا المـكان لـكى أمنـع تعيـين أمثالـك»، فـترك المـكان، وقـد اسـودّت الدنيـا فى عينيـه (شـهادة أسـامة الغـزالى فى عمـوده بالأهـرام؛ تعليقـاً عـلى كتـابى «الصحافـة والحكـم».

وكانـت لـه فى «روزاليوسـف» تجربـة اسـتغرقت أعوامـاً طويلـة بـدأت فى ظـل عبدالرحمـن الشرقـاوي، وصـلاح حافـظ، وفتحـى غانـم، وانتهـت عـلى يـد محمـود التهامـى وعـادل حمـودة..

عندمـا كتـب عـن «القطـط السـمان وقطـط المقـاولات» وضـع عناويـن الحملـة الصحفيـة صـلاح حافـظ عـلى نصـف الصفحـة الأولى مـن المجلـة.. وتوالـت الحمـلات: «أسرار عزبـة الإذاعـة»، وغيرهـا مـن الموضوعـات السـاخنة الغاضبـة.

حتـى كانـت أحـداث ١٨ و١٩ ينايـر، وقـررت «روزاليوسـف» أن بعتبرهـا ثـورة شـعبية، وليـس حراميـة كـما سـماها الرئيـس «السـادات»، وعندمـا اجتمـع «السـادات» بعـدد مـن الكتـاب والصحفيـين لضبـط إيقـاع الإعـلام بـدأ بسـؤال صـلاح حافـظ: «كانـت ثـورة شـعبية والـلا انتفاضـة حراميـة يـا صـلاح»؟ أجـاب: «ثـورة غلابـة يـا ريـس».. قـال «السـادات»: «خسـارة سـقطت فى الامتحـان يـا صـلاح»!

أمـا أكـثر مقالاتـه غضبـاً، فـكان «بلطجيـة شركات توظيـف الأمـوال» عـن احتجـاز موظفـى سـوبر ماركـت يملكـه صاحـب إحـدى تلـك الشركات للصحفـى الشـاب «إبراهيـم خليـل» -وقـد أصبـح اليـوم رئيسـاً لتحريـر «روزاليوسـف»- الغريـب أن المـشرف عـلى «روزا» وقتهـا باختيـار

مـن الرئيـس «السـادات» دافـع عـن إحـدى شركات التوظيـف «الريـان» بحـماس غريـب؟!

كان قـد جـاء عـصر مـرسى الشـافعى وعبدالعزيـز خميـس، فلـما جـاء عـصر محمود التهامـى الـذى انتهـز فرصـة إصابتـه بانـزلاق غـضروفى وغيابـه مؤقتـاً عـن المجلـة، وقام بتعيـين الصحفـى المتحمـس عـادل حمـودة نائبـاً لرئيـس التحريـر، فأصبـح الـكل فى الكل!

كان «التهامـي» يحـس بالقلـق؛ إذ تـردد بشـدة ومـن مصـادر عليـا أن عبدالقـادر شـهيب سـوف يأخـذ منصبـه!!

بيع المطبعة لنسايب معالى الوزير!!

وإلى المصـور، يرحـب بـه رئيسـه مكـرم محمـد أحمـد، ولكنـه لا يضـع اسـمه مديـراً للتحريـر، ويقـول إن هـذا تقديـر لمـن سـبقه «رجـاء النقـاش»، الـذى كان قـد توفـاه الله..غير أن هنـاك سـبباً آخـر وهـو الـصراع عـلى المنصـب ممـن سـبقوه؛ وهما يوسـف القعيـد وأحمـد أبـو كـف.. كـما دخـل مجـدى الدقـاق فى الصـورة، وكان يحظـى بدعـم مـن فـوق!

ويغضـب «مكـرم» مـن عمـود «شـهيب» عفـوا.. أنـت أعـور»؛ إذ تصـور أنـه يقصـد عـادل حمـودة، ربمـا تصفية حسـابات!

وأخـيراً يصـل إلى محطتـه الأخـيرة رئيسـاً لمجلـس إدارة دار الهـلال ورئيسـاً لتحريـر المصـور لسـنوات، يقـرر بعدهـا بإرادتـه أن يسـتقيل ويـترك المناصـب، ويتفـرغ للكتابـة فى أكـثر مـن صحيفـة ومجلـة.. وكانـت تلـك الاسـتقالة أيضـاً معانـاة!

لم يبـقَ سـوى الدكتـور يوسـف بطـرس غـالى وزيـر ماليـة مبـارك الـذى كان يضغــط عليــه بديــون المؤسســة التــى يرأســها كى يبيــع مطبعــة دار الهـلال الجديـدة فى مدينـة أكتوبـر، ثـم يتضـح لـه أن المشـترى كانـت أسرة

زوجـة الوزيـر اللبنانيـة!

يـدلى عبدالقـادر شـهيب بشـهادته، وقـد يكـون لمـن ذكـر أسـماؤهم شـهادة أخـرى..

كيف يقطعون لسان الدولة؟!

لماذا نكتب الكتب ما دمنا لا نجد من يقرأها؟ الحق أن أحداً لا يجدها.. أين تختفى كل تلك المطبوعات؟

هل أصبح المؤلفون أكثر من القراء، وإن أبدع بعضهم؟ أم إن الناشرين تحولوا إلى تجار، وإن حصلوا على أعلى الشهادات؟

ما بالنا بأزمة الدولار التى تطفئ وهج الثقافة والصحافة ومن يتعامل بالورقة والقلم، وتلك ميزة لمن لا يريدون وجع الدماغ!

كان الأمل فى مطبوعات الصحف القومية، ولكنها مع الأسف لا تقوم بدورها.. تنشر ما لا يغرى بالقراءة، فيبدو قبول نشر الكتب بالواسطة أو الإلحاح.. ويبدو أن الحرص على توزيعه ونشره بين الناس ليس فى الحسبان.

تنتقل العدوى إلى صفحات الأدب فى الجرائد والمجلات؛ إذ يكون الاهتمام -إلا قليلاً- بالعلاقات العامة أو بمن يرسل كتابه هدية يتبعها بتليفونات.

رحم الله «جلال السيد» الناقد الأدبي والصحفى بجريدة «الجمهورية» الذى كان يبحث عن الكتب ويشتريها، وقد لا يشير إلى الكتب التى تأتيه هدية إذا كانت لا تستحق.

ورحم الله «خالد السرجاني» الذى نذر نفسه لنشر الثقافة على صفحات جريدتى «التحرير» و«الأهرام»، وكان أيضاً يشترى الكتب

ويقدمها هدية لمن يجد عنده اهتماماً بها حتى ولو لم يكن يعرفه.

وأصل إلى كبيرهم «رجاء النقاش» الذى لم يكتب فقط عن كتب وأدباء لهم قيمتهم، وإنما عرفنا على مؤلفين مصريين وعرب، فأصبحوا نجوماً.

هذا وقد أصبح تأليف الكتب سهلاً؛ فكثيراً ما يكتفى المؤلف أو المؤلفة بالبحث عن عنوان راقص!

ولست ألوم أحداً؛ فزماننا أصبح هكذا..

وعندما نأتى إلى ما تصدره وزارة الثقافة من كتب عديدة، كثير منها له قيمة، يكون العنت أكبر فى البحث عنها مع أن لها مكتبات أنيقة فى أكثر من مكان!

وحديثى اليوم عن كتاب له أهميته أصدرته هيئة قصور الثقافة بعد أن تم عرضه على أكثر من دار نشر فلم تتحمس؛ لأنها نظرت إليه كسلعة وليس كقيمة.. ومع هذا كان تقديرها خاطئاً..

الكتاب هو «مذكرات الكتور عبدالقادر حاتم» رئيس وزراء حرب أكتوبر، وأشهر وزير إعلام فى سنوات «عبدالناصر» وأنور السادات، وهو الذى أنشأ التلفزيون المصرى ورائد صناعة السياحة..

أعدّ المذكرات للنشر وتحمس لها وقدّمها فى أحسن صورة الكاتب الأديب والصحفى «إبراهيم عبدالعزيز» مدير تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون.

الدكتور حاتم صاحب ذاكرة حديدية، حريص على ألا يجرح أحداً.. وكل ما قاله عندما ألغيت وزارة الإعلام: كيف يقطعون لسان الدولة؟! وعندما سئل عن حال التليفزيون قال إنه لا يحب أن يتكلم

فى السياسـة..

كان يؤمن بأن أهل الخبرة أولى من أهل الثقة..

روى لـ»عبدالنـاصر» نكتـة عـن أيـام هتلـر؛ إذ كان التليفزيـون الألمـانى يذيع خطب الفوهـرر بمناسـبة وبـدون مناسـبة، والمواطـن مضطـر لسـماعه، ولكـن الأولاد الذيـن أصابهـم الملـل طلبـوا مـن أبيهـم أن ينتقـل إلى محطـة أخـرى، أجابهـم: حـاضر، ولكـن بعـد أن يطفـئ جارنـا عضـو الحـزب النـازى النـور، ونعـرف أنـه نـام فـلا يبلـغ عنـا.. فلـما حـدث غـيّروا المحطـة؛ وإذ بوزيـر الدعايـة «جوبلـز» يظهـر لهـم عـلى الشاشـة شـاهراً مسدسـه وشـخط: ارجـع للقنـاة الأولى تـاني.. وكانـت تلـك النكتـة رداً عـلى المزايديـن المطالبـين بـالإسراف فى إذاعـة خطـب الرئيـس!

++ عـن محاولـة اغتيـال «عبدالنـاصر» فى ميـدان المنشـية بالإسـكندرية نفـى تمامـاً أن تكـون تمثيليـة؛ لزيـادة شـعبية الرئيـس، فمثـل تللـك الأمـور لا تتـم بالرصـاص الحـي!!

عندمـا تـرك الـوزارة تذكـر مـا قالـه طـه حسـين عندمـا أصبـح وزيـراً عـن الذيـن كانـوا يحرصـون عـلى زيارتـه، ثـم ابتعـدوا عندمـا تـرك منصبـه.. قـال طـه حسـين عبارتـه الشـهيرة: «أتيتـم حينـما أتـت وأدبرتـم حينـما أدبـرت».. ولكـن «حاتـم» لم يواجـه مثـل هـذا الإحسـاس.

المشير يهدد بضرب «هيكل» علقة!

اتصـل المشـير أحمـد إسـماعيل وزيـر الدفـاع بالدكتـور «حاتـم»، غاضبـاً بعـد مقـال محمـد حسـنين هيـكل، الـذى شـكك فيـه فى قـدرة الجيـش المـصرى عـلى العبـور، واقتحـام خـط بارليـف، وقـال المشـير إنـه سـوف يسـتدعى «هيـكل» ويضربـه علقـة!!

هـذا وقـد تمـت الاسـتفادة مـن نفـس المقـال لخـداع «إسرائيـل» قبـل

حـرب أكتوبـر.

علي أمين في «الأهرام» صدفة

لم يكـن مقـرراً أن يخلـف عـلى أمـين محمـد حسـنين هيـكل في رئاسـة «الأهـرام»، ولكــن تصــادف أن كان الرئيــس «الســادات» يتحــدث إلى الدكتــور «حاتــم» عــن مخـاوف عـلى أمـين مـن إلقـاء القبـض عليـه، وهـو مـا لم يكـن وارداً.. ثـم عـن إدارة تحريـر الأهـرام الـذى كان قـد تـولاه «حاتـم»، فقـال «السـادات»: «مـا عنـدك عـلى أمـين».. وقـد كان، ومضـت الأيـام، وكتـب عـلى أمـين مقـالاً يطالـب فيـه بالكشـف عـلى عقـول كل الحـكام العـرب، لم يعجـب «حاتـم» فمنعـه، وكتـب بنفسـه مقـالاً بـدلاً منـه.. وكانـت النهايـة!

شـخصيات عرفهـا وكتـب عنها:طـه حسـين، وتوفيـق الحكيـم، وعبـاس العقـاد، والشـيخ محمـد الغـزالي، وإحسـان عبدالقـدوس، وأم كلثـوم، ومحمـد عبدالوهـاب، وصـلاح أبـو سـيف، وكـمال الملاخ، وسـعيد فريحـة، وناكاسـونى رئيـس وزراء اليابـان.. ومصطفـى أمـين الـذى أنصفـه وكتـب عنـه في مذكراتـه أنـه بـريء مـن تهمـة التخابـر، وقـد سُـجن تسـع سـنوات بسـبب اتهـام خططـت لـه مراكـز القـوى، وتعـرض لتعذيـب رهيـب حتـى يعـترف بجريمـة لم يرتكبهـا.

كان مصطفــى أمــين وصحفيــون آخــرون قــد أحســنوا اســتقبال أنــور الســادات، وسـاعدوه بعـد خروجـه مـن قضيـة اغتيـال أمـين عثـمان باشـا، ولكنـه بعـد أن أصبـح رئيسـاً «أبقـانى في السـجن أربـع سـنوات أخـرى»، كـما قـال مصطفـى أمـين.

عندمـا قابلـت أم كلثـوم الرئيـس «السـادات» قالـت لـه: مصطفـى أمـين بـريء.. أجابهـا: سـوف أفـرج عنـه بعـد المعركـة.

وقـال مصطفـى أمـين: الصحافـة يمكنهـا أن تُسـقط حكومـات، ولكـن فى إمـكان الحكومـات أن تغلقهـا أو تحكمهـا أو تـرأس تحريرهـا تنطقهـا بمـا تريـد أن تقـول!

عـن رفـع الرقابـة عـن الصحـف قـال مصطفـى أمـين: إذا وضعـت يـدك عـلى فمـى ٣٠ سـنة، فـلا أنتظـر منـك أن أقـول لـك: كيـف حالـك يـا سـعادة البيـه؟!

وزيـرة يابانيـة سـألت السـيدة «مديحـة عبدالجـواد» زوجـة الدكتـور «حاتـم»: لمـاذا تصحبينـه دائمـاً فى كل زيـارة يـأتى فيهـا إلينـا؟ أجابتهـا مازحـة: أعـرف أن اليابانيـة تطبـخ أكلاً شـهياً، أخـشى أن يحبـه فيتـزوج يابانيـة!

طلـب الدكتـور «حاتـم» مـن ابنـه الدكتـور «طـارق» أسـتاذ الهندسـة بالجامعـة الأمريكيـة ألا ينـشر المذكـرات إلا بعـد وفاتـه.

قـام إبراهيـم عبدالعزيـز بـكل مـا يملكـه مـن كفـاءة وصـدق وحـب بتقديـم مذكـرات رجـل عـاش فى خدمـة مـصر، وعـرف الكثـير مـن الأسرار.

بقى أن تقدّم الهيئة العامة لقصور الثقافة طبعة ثانية وثالثة إن لزم الأمر!

مطلوب حياً أو ميتاً

أعضاء مجلس النواب فى ٢٠١٧ غاضبون؛ لأن «نجيب محفوظ» لم يتم حبسه من أيام «قصر الشوق» و«السكرية» بتهمة الفعل الفاضح.. لم يتقدّم أحدهم وقتها ببلاغ ضده.. نفد بجلده، فلم يكن مجلس الأمة الحالى موجوداً فى حياته.

ولماذا «نجيب» وحده؟ ماذا عن «إحسان عبدالقدوس»، ومطالبة النائب «عبدالصمد» فى برلمان الستينيات بوقف نشر روايته «أنف وثلاث عيون»..

ومن كتب وغنّى «بلاش تبوسنى فى عنيه»؟

وورثة المؤلفين والملحنين والمطربات والمطربين الذين غنوا «شفتى بتاكلنى أنا فى عرضك خليها تلمس خدي»، و«ارخى الستارة اللى فى ريحنا أحسن جيرانا تجرحنا»..

وصولاً إلى سعد الصغير: «معاك فلوس تحضن وتبوس».. ومحمد سعد فى فيلم «تتح»: «يا فول مدمس، أنا نفسى اغمّس، جعان حاموت»!

عندما كتب نجيب محفوظ رواية «ثرثرة فوق النيل» ذهب من همس فى أذن المشير «عبدالحكيم عامر» وهو فى عز قوته بأن نجيب يقصده تلميحاً بمن هو غائب عن الوعى فى الرواية لا يفيق من شرب الحشيش.. غضب المشير غضباً عارماً، وأصرّ على اعتقال المؤلف،

وذهـب إلى جـمال عبدالنـاصر لتنفيـذ طلبـه، سـكت الرئيـس قليـلاً ثـم قـال: إحنـا عندنـا كام «نجيـب» يـا «حكيـم»؟

تـرى عـلى مـن الـدور فى التكفـير أو اتهامـه بخـدش الحيـاء؟! ليجـرى التحقيـق معـه أمـام نيابـة الآداب!!

أصـدر الأدبـاء فى دميـاط بيانـاً يسـتنكرون فيـه مـا ينطـق بـه نائـب «كفـر سـعد» بمحافظـة دميـاط، وقـع عليـه كتـاب وشـعراء وفنانـون وكتـاب سـيناريو وأسـاتذة جامعـة مـن بينهـم «عبدالرحمـن أبـو زهـرة، وصـلاح مصبـاح، وبشـير الديـك، ومحمـد أبـو العـلا السـلموني، وسـمير الفيـل، وآخـرون».. يذكّـرون النائـب «أبـو المعاطـى مصطفـى» وغـيره بالمـادة ٦٧ مـن الدسـتور، وتنـص عـلى أنـه «لا مسـاس بالحريـات فى قضايـا النـشر والفكـر والإبـداع».

هـذا، ولم نسـمع صوتـاً مختلفـاً مـن داخـل المجلـس، وبـه مـن أعـرف ثقافتـه وشـجاعته، فلـماذا هـذا الصمـت المريـب؟! هـل اكتفـوا بتعليـق زميلتهـم «ناديـة هـنري»: يـا نهـار أسـود!!

النائـب رجـل قانـون، وقيـل بانـه سـئل عـما قـرأه لنجيـب محفـوظ أجـاب بثقـة: «الجبـل».. فليغفـر لـه فتحـى غانـم!

سـبقه فى برلمانـات سـابقة مـن طالـب بمنـع طبـع روايـة «أولاد حارتنـا» فى مـصر، مـع أنهـا نـشرت فى «الأهـرام» وكاملـة فى بـيروت.. هـذا ولم يلتفـت أحـد لمـا ردده محجـوب عبدالدايـم فى «القاهـرة ٣٠»: «البقـاء للأوسـخ»!!

وهـل هنـاك مـا هـو أكـثر صراحـة وواقعيـة مـن «ألـف ليلـة وليلـة» وحكايـات «شـهرزاد» التـى ظلـت ملهمـة للمبدعـين ذكرهـا الأديـب العالمـى «جارثيـا ماركيـز» فى خطابـه وهـو يتسـلم جائـزة «نوبـل».. ولكـن مصريـين مثـل نائـب كفـر سـعد طالبـوا بمصـادرة طبعتهـا الكاملـة وحبـس

ناشرهـا، بـل وجمـع نسـخها وإحراقهـا فى احتفـال بميـدان عـام.. تصـدى لهـم محامـى الأدبـاء والحريـات «صـبرى العسـكري» مدافعـاً عـن أفضـل مـا وصـل إلينـا مـن كتـب الـتراث العـربي، ومدلـلاً عـلى أنـه حتـى الجنـس فى أعـمال الخلـق والفـن والإبـداع لا يخـدش الحيـاء.. أصـدر القـاضى المسـتنير «سـيد محمـد يوسـف» حكمـه بإلغـاء المصـادرة، مـع مذكـرة تفسـيرية تقـف إلى جانـب الحريـات.

هـل اكتفـى المنـادون بالمصـادرة وحبـس الأدبـاء بمشـاهدة الأفـلام الماخـوذة عـن تلـك الروايـات، وهـى شيء آخـر عندمـا تحولـت روايـة «الكرنـك» إلى فيلـم سـينمائى قـام «صـلاح نـصر» رئيـس المخابـرات فى الوقـت الـذى جـرت فيـه أحـداث الروايـة وبشـاعة التعذيـب برفـع قضيـة عـلى نجيـب محفـوظ مؤلـف الروايـة.. ولكـن القـاضى أصـدر حكمـه ببراءتـه.

كتبـت الزميلـة «دعـاء مختـار» أن نجيـب محفـوظ حـكى فى برنامـج مـع «طـارق حبيـب» عـن فكـرة روايـة «الكرنـك»: جاتـلى عـلى القهـوة لمـا دخـل علينـا شـخصية «خالـد صفـوان» الحقيقيـة فعرفتـه، جـاء يجلـس عـلى القهـوة إنسـان عـادى جـداً لا تظهـر عليـه علامـات أن هـذا الشـخص هـو مـن كان يقـوم بالتعذيـب، فلفـت نظـرى وتأثـرت جـداً.. ولـو كنـت أعـرف أن الروايـة والفيلـم هيثـير الضجـة ويمنـع مـن الرقابـة كنـت بعـدت عـن الغلـب ده كلـه!!

وكأن الكتـاب الـذى قدّمـه الصحفـى الأديـب «أيمـن الحكيـم» جـاء فى موعـده، يعـرض فيـه الملـف القضـائى لنجيـب محفـوظ بوثائـق ومسـتندات وأقـوال أمـام النيابـة مسـتعيناً بصديقـه ومحاميـه «أحمـد السـيد عوضـين».

كان الأمـر قـد وصـل إلى محاولـة قتـل نجيـب محفـوظ متهـماً هـذه المـرة بالكفـر؛ بسـبب روايتـه المثـيرة للجـدل «أولاد حارتنـا».

يـرد فى كتـاب «حـضرة المتهـم نجيـب محفـوظ» لأيمـن الحكيـم تفاصيـل حـادث الرجـل الـذى حـاول طعنـه بآلـة حـادة فى عنقـه أمـام بيتـه عـلى نيـل العجـوزة، والنيـة المبيتـة والاجتماعـات السريـة لتنفيـذ الجريمـة..

لم يقرأ واحد منهم الرواية، وربما لا يعرفون اسم الكاتب.

مـن داخـل السـجن أرسـل واحـد منهـم اعتـذاراً لنجيـب محفـوظ طالبـاً منـه الصفـح.. تأثـر «نجيـب» وقبـل اعتـذار قاتلـه، بـل وتوسـط لنقلـه مـن سـجن العقـرب المرعـب إلى مزرعـة طـرة جنـة السـجناء.. فلـما جـاء العيـد أرسـل لـه معايـدة تلغرافيـة علنيــة حملــت رقــم «٠٥٣٩٨٧»، وهــو مــا اعــترض عليــه كثــيرون مــن أصدقائــه وحوارييـه.. مـن بينهـم الأديبـان جـمال الغيطـانى ويوسـف القعيـد.

عندمـا افـاق نجيـب محفـوظ فى المستشـفى فتـح عينيـه وسـأل زوجتـه: هـما هيعملـوا العمليـة إمتـى؟ أجابتـه: مـا عملوهـا خـلاص، قـال: معنـاه «الجبـلاوي» مـش غضبـان منـي.

وكانـو الداعـون لتكفـيره يتهمونـه بأنـه أضـاف فى روايتـه إلى أسـماء اللـه الحسـنى اسـم الجبـلاوي!

أمـا اغـرب قضيـة ضـده فقـد رفعهـا ابـن اختـه؛ لأن خالـه «نجيـب» كتـب فى المذكـرات التـى كتبهـا الناقـد الأدبي الكبـير «رجـاء النقـاش» مـا أسـماه «سرقـة أهليـة»؛ ففـى يـوم وفـاة والدتـه احتفظـت أختـه وأبناؤهـا ببعـض مقتنياتـه.. لم يقصـد الإهانـة وإنمـا الـسرد، ولكـن ابـن أختـه المهنـدس «محمـود الكـردي» اعتبرهـا إهانـة بالغـة لـلأسرة، فرفـع قضيـة مطالبـاً بتعويـض مـالى ضخـم ومصـادرة الكتـاب.. ولم يحكـم لصالحـه!

أمـا شـخصية «سى السـيد» الشـهيرة، فقـد كانـت لـزوج شـقيقته «زينـب»، وكان صعيديـاً مـن أصـل كـردي.

جاءه من يعرض تحويل «أولاد حارتنا» إلى فيلم سينمائى ينتجه «وحيد حامد» بمليون جنيه.. لم تكن المليون تغريه، ولكن لأن «وحيد» سيكتب السيناريو.. لم يتم الاتفاق!

وجاءته المنتجة «ناهد فريد شوقي» تريد إحدى رواياته بـ ٥٠ ألف جنيه.. قال: لأ لأ لأ ده كتير، تخفضها شوية! لم يكن يهتم بالمال، وظلّ طويلاً يترك كتبه لصديقه الأديب والناشر «عبدالحميد جدودة السحار» بأرخص الأجور، وبكلمة شرف بينهما.

وعندما كان قسم النشر بالجامعة الأمريكية على استعداد لزيادة نسبته من ترجمة أعماله، وكان محمد سلماوى بعرض الأمر عليه، قال: ما يصحش كده، أنا رضيت بالعقد، وعيب أقول لهم تعالوا نعدله.. فلما قيل له: ولكن لم يكن فيه نوبل؟ أجاب: جايز جداً أن ترجمتهم كانت السبب فى حصولى على نوبل!!

لم تهبط عليه ثروة إلا بعد أن حصل على جائزة نوبل وعمره ٧٧ سنة، ولكنه أصبح مليونيراً على الورق!

لم يلبس كرافته فى حياته، وكانت مشكلة عندما نال قلادة النيل.. قال: كل ما أستطيعه هو أن أقفل آخر زرار فى القميص.

يبقى الإهداء الذى كتبه «أيمن الحكيم»:

إلى العارف بوطنه

المضروب بعشقه

حارس ذاكرته.. وخازن أسراره

حامل مفاتيح بوابته.. وشيخ حارته

إلى «مولانا» نجيب محفوظ.. مدد!

صناع البهجة

عندما مات «محمود عبدالعزيز» افتقدنا واحداً من صناع البهجة.. الصحفى الشاب محمد توفيق (٣٦ سنة) أهدى كتابه «صناع البهجة» لكل مبدع رسم البسمة على شفاه محبيه.. وروح يا شيخ ربنا يسعدك!

ذكر كل من أحب فرداً فرداً، وتمنى على قرائه أن يجدوا فيمن أحب من يحبون..

«شموخ» أم كلثوم، و«وسوسة» عبدالوهاب، و«مكر» عبدالحليم، و«وردة» بليغ، و«عذوبة» نجاة، و«عصا» سليم سحاب، و«رقة» فاتن، و«وسامة» عمر الشريف، و«غموض ليلى فوزي».

و«حب» سناء ولويس، و«فصاحة» القصري، و«قلم»حمدى قنديل، و«سخرية» جلال عامر، و«هلس» سمير غانم، و«ذكاء» عادل إمام، و«سعاد حسني»كلها على بعضها، و«تناكة» النابلسي، و«بهجة» محمود عبدالعزيز.

ليسوا وحدهم من صنع البهجة، فهناك الشعراء والكتاب ورسامو الكاريكاتير ولاعبو الرياضة.. أعرفهم جميعاً وأعرف غيرهم ممن صنعوا ويصنعون وسوف يصنعون البهجة لنا.

بعض ما كتبه «محمد توفيق»:

عن «إسماعيل ياسين».. كان الرئيس «عبدالناصر» يخصص يوم الجمعة لمشاهدة أفلام إسماعيل ياسين، مهما كانت الظروف السياسية، والحقيقة أنه لم يكن يهتم بالممثل لولا أنه وجد فيه ما يحقق أهدافه،

وقد كانت أهدافاً نبيلة ووطنية وذكية، فالأفلام الستة التى قام بها «سمعة» كانت فكرتها واحدة سواء كانت تدور أحداثها فى الجيش أو الطيران أو الأسطول أو البوليس الحربي، يتحول فيها بطل الفيلم من السذاجة إلى النجاح فى مهمته.

ولكن مشكلة إسماعيل ياسين أنه لم يطوّر نفسه، وبعد أن كان نجم الجماهير المفضل لعشر سنوات خرج فجأة من القمة إلى النسيان.. دفع ثمن الاستسهال، فما يضحك الناس اليوم ليس شرطاً أن يُضحكهم غداً.

عن «عادل إمام» لا أحد يصدّق أن الباشكاتب فى مسرحية «أنا وهو وهي» يمكن أن يصبح الزعيم فى يوم ما، ولكن عادل إمام أذكى من الجميع دائماً، ولو أن هناك جائزة لأذكى فنان فى تاريخ مصر لنالها عادل إمام بلا منازع..

سأله الناقد «نجيب المستكاوي» أيام «مدرسة المشاغبين» عن النادى الذى يشجّعه، أجاب: أنا زملكاوى بشدة.. فلما سُئل بعد أن أصبح الزعيم فى التسعينيات قال: من شروط حصولك على الجنسية المصرية أن تشجع النادى الأهلي!

عن صلاح جاهين الذى يسمى علاقته بالفنان سيد مكاوى «زى العسل والطحينة»، فلما سئل لو أنه يعيش وحده فى جزيرة وسمحوا له بشخص واحد يقيم معه، قال بلا تردد: سيد مكاوي.

جزء كبير من شعبية «جاهين» بسبب ارتباطه بعبدالحليم حافظ وكمال الطويل.. فلما عرف أنه مريض بالسرطان لم يتحمل الخبر فاختفى، وحاولت أسرته الوصول إليه دون جدوى لعدة أيام، قسمت «بهجة» أخته أن «حليم» هو اللى مخبيه، فذهبت إليه تقول: عاوزين «صلاح» ضرورى أبوه تعبان.. قال «عبدالحليم»: والله ما هو عندي،

خـشّى دورى عليـه، وعـلى العمـوم أنـا هعـرف أجيبـه لحـد عنـدك.. وبالفعـل أحضره فى اليـوم التـالي، بعـد أن نـشر إعلانـاً فى «الأهـرام» يقـول فيـه: «ارجـع يـا صـلاح، أهلـك بيـدوروا عليـك»!

عـن عمـرو سـليم أنـه بعـد الثـورة مبـاشرة رسـم كاريكاتـيراً بديعـاً يسـخر فيـه مـن عـدم إلقـاء القبـض عـلى الثـلاثي: صفـوت الشريـف، وفتحـى سرور، وزكريـا عزمـي.. سـأله المؤلـف محمـد توفيـق: مـا الـذى أوحـى إليـك بفكـرة هـذا الكاريكاتـير المدهـش؟ فأجابـه: صـلاح جاهـين زارنى فى المنـام، وقـال لي: افضحهـم يـا عمـرو! ولم تكـن هـذه هـى المـرة الأولى التـى زاره فيهـا «جاهـين» فى المنـام، رغـم أنـه لم يـره فى حياتـه سـوى مـرة واحـدة أثنـاء التوقـف فى إشـارة مـرور!

عـن «محمـود السـعدني» أنـه تخصـص فى نقـد السـلطة والسـخرية مـن أفعالهـا والضحـك عليهـا، فصـارت كتبـه متحفـاً أنيقـاً يضـم قطعـاً أدبيـة تـشرِّح الحكـم ومـن فيـه، وقـد قـال: ليـس للمواطـن فى بـلاد الحمـير إلا أن يمـشى وراء الرئيـس، فهنـاك متناقضـات كثـيرة فى العـصر الحمـيري، منهـا أن لدينـا ديموقراطيـة واسـعة، وبـلا حـدود فى كل شيء إلا فى السياسـة!

عـن أحمـد رجـب صاحـب «نـص كلمـة» فى جريـدة «الأخبـار» منـذ عـام ١٩٦٨، ولكنـه رغـم مـا صنعـه مـن مجـد كبير فإنـه لم يكـن رئيسـاً لتحريـر أى جريـدة، وعندما طلـب مصطفـى أمـين مـن الرئيـس «السـادات» تعيـين أحمـد رجـب رئيسـاً لتحريـر مجلـة «آخـر سـاعة» رفـض وقـال: مـا ينفعـش يـا «مصطفـى»؛ لأنـه مـا بيسـمعش الـكلام.

وعـن محمـد عفيفـى أنـه لم يكتـب مـن أجـل أن يحصـل عـلى المجـد أو الشـهرة والمـال، ولـو أراد لحقـق كل شيء، ولكنـه لم تشـغله الأضـواء، فهـو واحد مـن المتواضعين العظـام الذيـن لا يشـعرون بـأن مـا يفعلونـه يسـتحق الثنـاء والاحتفـاء والتمجيـد والتهليـل..

وحين وضع «عفيفي» تعريفاً للإنسان المصرى قال: إنه المواطن الوحيد الذى يمكن أن يموت فى تصادم بين سيارة مرسيدس وعربة كارو!

ويقول: فى حديقة الحيوان أشعر بأمان أكثر بكثير من ذلك الذى أشعر به فى الشارع، فحيوانات الحديقة -كما نعلم- محبوسة!

عن «سعيد صالح» أنه لم يعش فى جزيرة منعزلة عن الناس، ويحمل نفس صفات البسطاء حتى فى أخطائهم، ويهوى الخروج على النص فى الكثير من مسرحياته؛ فهو أجرأ من أن يقول ما يمليه النص، بل يقول ما يمليه عليه ضميره، حتى لو كان مصيره السجن.

وقد فعلها عام ١٩٨٣ حين خرج على النص وهو على خشبة المسرح وقال: «أمى اتجوزت ٣ مرات.. الأول أكلنا المش، والتانى علّمنا الغش، والتالت لا بيهش ولا ينش»..

وكان يقصد «عبدالناصر» و«السادات» و«مبارك»، وفهمها الرقيب الجالس فى مقاعد الجمهور.. صدر الحكم بحبسه ستة أشهر!!

دايماً عامر عن الكاتب الساخر «جلال عامر» أنه صنع مجداً يعيش دهراً، بدأه فى الخمسين من عمره، ولمدة خمس سنوات.. ابتكر أسلوباً جديداً فى الكتابة الساخرة، فبدا كأنه «حاوي» يُظهر كلمات ويخفى أخرى، يجعل عينك تقع على الجملة التى يريد أن تقرأها، كلمة تخاطبك، وأخرى تخاطب من يجلس بجوارك، وثالثة تخاطب زوجتك، ورابعة تخاطب من يجلس فوق كرسى السلطة.

من كلماته «بلد تعرض للبيع بالجملة تبيع بالقطاعى بملاليم»، و«كنا نزرع سينا مقاومة، والآن نزرعها حشيش»، و«كل شعوب العالم تعرف ماذا يحدث فى المستقبل إلا الشعب المصرى لا يعرف ماذا يحدث

الآن؟».

عن «علاء ولى الدين» قالوا له: شكلك غير وسيم من فضلك ابحث عن عمل آخر.. حاول مرة واتنين وتلاتة، وكل مرة الإجابة: أنت لا تصلح للتمثيل، ووزنك ثقيل.. ثم أصبح حضرة «الناظر» وأضحك الدنيا..

أحدث ثورة فى مقاييس النجومية، كما أحدث موته زلزالاً فى الوسط.. كان «وليا» بحق!

إذا كانت الحياة تبدأ بعد الأربعين، وتبتسم لك فى الخامسة والأربعين، وربما تصبح نجماً فى الخمسين من عمرك.. هذا هو الدرس الذى نتعلمه من الفنان «بيومى فؤاد»إن لم تستطيعوا البهجة، اقرأوا على الأقل «صناع البهجة».

الكتابة بحب.. وابتسامة

فرحت عندما أوفدتنى «آخر ساعة» أيام الأستاذ «هيكل»؛ لعمل تحقيق صحفي، وكنت تحت التمرين هارباً من جنة الطب إلى جحيم صاحبة الجلالة.. كانت أول مرة تعترف المجلة بوجودي.. أبلغنى «سليم زبال» سكرتير التحرير الآمر الناهى أن سيارة «أخبار اليوم» فى انتظارى للسفر بصحبة الأستاذ «صلاح منتصر»، واحد من شباب المجلة الواعدين، سرعان ما انضمّ لكتيبة المحررين الأساسيين بالمجلة، وكان منهم أكثر من صلاح «هلال وجلال ومنتصر»، وجميل عارف ووجدى قنديل، وفتحية بهيج.. يجلسون فى غرفة متميزة بعيداً عن دوشة صالة التحرير التى تضم «طارق فودة، ونهاد رجب، وأحمد ماهر، وفاطمة سعيد، وكمال سعد، وحمدى قنديل، وأنا».

كان السفر إلى «كفر البطيخ»، ومعنا كبير المصورين الأستاذ «رشاد القوصي»؛ لعمل تحقيق صحفى عن القرية الصغيرة المجهولة فى زمام مدينة دمياط، فأصبحت على كل لسان، بعد أن ضرب بها الزعيم «جمال عبدالناصر» المثل وهو يؤمم الصحف، ويتهمها بالاهتمام بفتيات نادى الجزيرة وليس قرية «كفر البطيخ» التى أصبحت فى يوم وليلة حديث مصر كلها، يبحث الجميع عن موقعها على الخريطة.. حتى إن الكاتب «سعد الدين وهبة» قدّم مسرحية باسم «كفر البطيخ».

تجدّدت شهرة القرية مع صعود نجم ناعب كرة القدم المتميز «عصام الحضري» أحد أبنائها.

مـن يومهـا -وقـد مـضى أكـثر مـن سـتين عامـاً- أحببـت «صـلاح»، ومـن أول لقـاء حتـى اليـوم أطـال اللـه عمـره، وأحببـت «القـوصي» حتـى لقـى ربـه رحمـه اللـه..

أمـا مقـالات صـلاح منتـصر، فتسـتهوينى خصوصـاً عندمـا يحـكى عـن تاريـخ شـهد أحداثـه وعـرف خبايـاه، بـل وسـاهم فى صنعـه بعـين ثاقبـة كاشـفة صادقـة بقـدر مـا يسـتطيع.

الكتابة بحب.. ودهشة

تذكرت الكلمات التى تصلح لكل زمان، وأنا أقرأ عنوان مقال «عزيزى عباس»، فلما قرأته كاملاً، وأعدت قراءته، ترحّمت على شاعرنا «نجيب سرور» و.... يا بلدنا يا عجيبة، فيكى حاجة محيراني، نزرع القمح يطلع فى سنين، ونزرع الكوسة تطلع فى ثواني!!

يا وكستي..

مصر تستورد القرع!

لم أصدق عيني، وأنا أقرأ، أمس، أننا نستورد من الخضر والفواكه ما قيمته ٧.١١ مليار جنيه.. وهذا الكلام ليس من عندي، بل جاء فى أحدث ما أصدره الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء.

ولا عيب فى أن نستورد.. بشرط أن نكون أيضاً من المصدّرين، فالجريمة أننا نستورد سلعاً كنا فى مقدمة من ينتجها.. بل كنا نصدّرها!! وتعالوا نقرأ قائمة ما نستورده؛ إذ نستورد من الخضراوات: بطاطس، طماطم، ثوم. حتى الكرات!! والبصل والخس والبنجر والبسلة واللوبيا والخرشوف.. ناهيك عن استيراد فول التدميس والسبانخ والبامية.. أما أن تصل الأمور إلى استيراد الملوخية التى هى مصرية ٥٠٠٪ فهذه هى الكارثة.. والأبشع منها أن نستورد الباذنجان، وربنا يرحم محمود شكوكو الذى غنى للباذنجان أبو خل.. ولكننى أرى العيب كله فى استيراد القرع.. والكوسة؛ إذ نحن من ابتدع كليهما.. فما أكثر ما زرعناه من الكوسة التى هى أسرع من القمح،

وما أكثر القرع فى كل مراحل حياتنا!!

آه ممكن نستورد الخرشوف لزوم عشاق الأكل «الدايت».. وإذا لم يتوفر لن نموت.. حتى ولو توقفنا عن استيراد الكرات.. وفاضل نستورد البصل الأخضر، ويمكن أن نتوقف عن استيراد الصنوبر، والكريز، والتوت البري، والعنب من شيلى «فى غير الموسم» والبندق والفسدق. أما أن نستورد التمور، ومصر ثالث دولة فى العالم فى عدد أشجار النخيل. فهذا هو العار. وربما نستورد البطيخ المربعات بدون بذور.. والكمثرى اللبناني، رغم أننى أعشق الكمثرى الخشابى المصرية. وكنت أعشق فى طفولتى التوت المصري، الذى توسع محمد على باشا فزرع ٢٠٠ ألف شجرة توت فى مصر، خلال عامين، ليربى عليه دود القز لإنتاج الحرير.

والمضحك المبكى أننا نستورد أيضاً أوراق الشجر!! بالذمة ده كلام!! أنا نفسى لن أستغنى عن كوب الحلبة الحصى أو كسرولة الحلبة إياها بسكر السنترفيش، هل ما زال موجوداً؟ وكنت أحياناً ما أكتفى بإفطارى بكسرولة الحلبة الحصا برغيف بلدى بتعريفة.. وأقبّل يدى وش وظهر أن يسّر لى الله سبحانه هذا الإفطار اللذيذ!!

ومن المؤكد أننا نستورد سلعاً استفزازية؛ مثل الزعفران، تعرفوا نصف الجرام ثمنه كام. أو جوزة الطيب الواحدة بكام.. أو حتى جرام المستكة التى بدونها لا تحلو الشوربة أو يجود السمك بالمستكة والشيبة!!

ثم بعد هذه الأرقام (نحو ١٢ مليار جنيه) لاستيراد هذه السلع.. هل هناك من أمل فى أى إصلاح اقتصادي.. أم نجرى وراء الشاذ من هذه السلع.. ولا تقولوا لنا: اللى عايزها يدفع؛ لأن الدولة تتحمل أعباء توفير أموال استيرادها.

حقـاً: وكـم ذا بمـصر مـن المضحـكات.. ولكنـه ضحـك كالبـكا!! واللـه دى مصيبـة.. وأى مصيبة.»عبـاس الطرابيـلي»

الكتابة بحب.. وشجاعة

تـم تحويـل الكاتـب «عبدالهـادى الجميّـل» للنيابـة الكويتيـة بسـبب هـذا المقـال الـذى نُـشر فى صحيفـة «عـالم اليـوم «:

هل صنعنا شيئاً مفيداً للبشريّة؟

***

مـا الـذى حققتـه دول الخليـج بعيـداً عـن النفـط الـذى تفجّـر تحـت أقدامنـا بفضـل الصدفـة التاريخيـة وبقايـا قطعـان الماموث والديناصـورات؟

لماذا نفتخـر بـبرج خليفـة وبـرج المملكـة وبـرج الحمـراء التـى لم يشـارك مواطـن خليجـى واحـد فى بنائهـا أو صُنـع طابوقـة واحـدة منهـا أو حتـى فى وضـع مخططهـا الإنشـائي؟!

النفـط.. بنـى كل شيء حولنـا، وعندمـا ينضـب فى وقـت لم يعـد بعيـداً كـما يبـدو، سيسـتطيع الإنسـان أن يصـل إلى قمّـة هـذه الأبـراج مشـياً فـوق الكثبـان الرمليـة الضخمـة التـى سـتبتلع هـذه الحضـارة الإسـمنتية الفارغـة!! أى حضـارة ندّعيهـا وننسـب أنفسـنا قـسرا إليهـا؟!

الحضـارة الحقيقيـة شيء آخـر مختلـف تمامـاً عـن الحضـارة التـى تـروّج لهـا وتدّعيهـا حكومـات الخليـج وأبواقهـا مـن الصحافيـين والمستشـارين وضاربى الدفـوف وحامـلى المباخـر. العـالم كلّـه يتجـه نحـو المسـتقبل ودويلاتنـا السـت تـدور حـول نفسـها كالمغـزل الصـدئ! تاهـت البوصلـة وزاغـت الأعـين، واسـتعصت الدفّـة عـلى الأيـدى الأمينـة.

متـى يعـى حـكّام الخليـج أنهـم ليسـوا آلهـة، وإن حـاول البعـض إيهامهـم بذلـك، مـن خـلال السـجود لهـم وتقبيـل كتوفهـم وأنوفهـم وأيديهـم؟! متـى يعـى حـكّام الخليـج أن الشرعيـة لا يحققهـا تكديـس الـثروات ولا شراء الـولاءات ولا الـضرب بالهـراوات ولا الحمايـة الأجنبيـة؟

الشرعيـة الوحيـدة التـى ينبغـى أن يحرصـوا عليهـا، موجـودة فى قلـوب شـعوبهم الوفيّـة الصابـرة التـى لم تعـد قـادرة -مؤخـراً- عـلى الصـبر أكـثر!

متـى تعـى العائـلات الحاكمـة أن العـالم الآن غـير العـالم السـابق، وأن شـعوب اليوم ليسـت شـعوب المـاضي، وأن المواطـن الخليجـى لـن يكـترث بمسـتقبل النظـام الحاكـم، متـى مـا شـعر بـأن مسـتقبل أبنائـه فى خطـر؟!

متـى تعـى العائـلات الحاكمـة بـأن مثيلاتهـا قـد زالـت مـن العـالم، وأن بقاءهـا فى الخليـج لـن يطـول أكـثر دون العدالـة والمسـاواة واحـترام حقـوق الشـعوب وكبـح جـماح الفاسـدين مـن أبنـاء الحكـم والطبقـة المحيطـة بهـم!

متـى تعـى العائـلات الحاكمـة بـأن المعتقـلات المكتظّـة لم تنقـذ «القـذافي»، وأن حسـنى مبـارك سـقط أولاً فى ميـدان التحريـر، وأن قاذفـات «الميـغ» دمّـرت حلـب، ولكنهـا لم تنجـح فى تدمـير إرادة أطفالهـا، وأن قبيلـة عـلى عبداللـه صالـح ضحّـت بـه فى اللحظـة التاريخيـة الحاسـمة، فـداءً لليمـن؟!!

متـى تعـى العائـلات الحاكمـة أنهـم لـن ينالـوا احـترام الشـعوب، وهـم لا يجهدون أنفسـهم مـن أجـل نيل هـذا الاحـترام؟

لمـاذا يريـدون مـن الشـعوب أن تؤمـن بالدسـاتير والقوانـين التـى لم يؤمنـوا بهـا لحظـة واحـدة، رغـم أنّهـم مـن وضعوهـا وفصّلوهـا عـلى مقاييسـهم؟

لمـاذا تتـصرف العائـلات الحاكمـة بأمـوال الشـعوب وكأنهـا إرث شرعـى انتقـل اليهـا مـن الآبـاء والأجـداد، ثـم يحاولـون إقناعنـا بأنهـم أكـثر زهـداً

مـن الخليفـة عمـر بـن عبدالعزيـز؟!!

لمـاذا يتحـدّث بألسـنتكم بعـض الفاسـدين، ويحيـط بكـم بعـض المشـبوهين، ويسـتقوى بكـم أربـاب السـوابق، ويدافـع عنكـم الحقـراء، ويلتصـق بكـم المستشـارون الذيـن أرضوكـم فأغضبـوا اللـه والشـعب؟!!

لمـاذا لا تقـرؤون التاريـخ؛ كى تتعلمـوا أن الثـورات لا تشـتعل ذاتيـاً فى العـراء، بـل تندلـع شرارتهـا فى الصـدور، وتضطـرم فى الشـوارع، وتنفجـر فى القصـور؟

الكتابة بحب.. وغرام.

فى نفس المكان الذى كان يكتب فيه أنيس منصور مقالاته على الصفحة الأخيرة على الشمال بجريدة «الشرق الأوسط» التى تصدر من لندن. وورثها عنه «على سالم». فتنتهى الصحيفة بابتسامة مصرية.. اليوم يتناوب عدد من الكُتاب السعوديين على ملء المكان. ويجتهدون.. بل يقدمون قصصاً وتعليقات. تنزل بعض البرد والسلام على القراء.

كتب «مشعل السديري» مرة عما نشرته صحيفة «المساء» منذ فترة إعلاناً مدفوع الثمن لمواطن مصرى نكاية ببنت «أعطته الطرشة». أى تركته دون رجعة. وتضمّن الإعلان كلمات للشاعر «نزار قباني» يقول فيها: لا تحزن إن خانتك فتاة. فهى كالطير يشرب من كل قناة».. ويأخذ الكاتب ذلك الإعلان مقدمة لتقسيمات عن رأيه فى النساء.

*وكتب «السديري» فى مقال أخير عن حوار فى «تاكسي» أثناء زيارة للقاهرة. وهو عادة يلوذ بالصمت. ولكن السائق لا يصمت. بل ويحكى أسرار البيت.. فلما جامله بالمشاركة فى الحديث سأله: هل تحب زوجتك أكثر أم سيارتك؟! أجاب السائق بعد تردد: «والله مانى داري»!!!

** أسأل مَن حولى عن الحل.. قالوا:

* اشترِ مروحة..

*** لا تقرب الصحف..**

*** لا تقرأ تصريحاً لمسؤول..**

*** لا تفتح التلفزيون إلا على «نفسنة» وأخواتها..**

*** ثم.. أليس حَرّ الدنيا أحسن من نار جهنم؟!!**

خريف العمر يا ولدي

تمنيت لو نسيت الدنيا وما فيها..

مثل عمر الشريف.

جلست معه مرة أو أكثر، دائماً بصحبة الدكتور زاهى حواس صديقه الوحيد الذى يسمع كلامه. إذا أصابه ضيق أو ملل، وبدأ التعبير على طريقته، تدخل «زاهي» وتنبه «عمر».

لم أحلم يوماً أن أكون نجماً، فرضيت بنفسي.. ولا أنبهر بالمشاهير أو أحكى عنهم.. ولست مثلهم إلا فى أننى أنسى.. وقد دخل عمر الشريف- قبل رحيله- فى دائرة النسيان. لم يعد الفتى الذى نحسده على «فاتن حمامة» بعد أن ضيّعها من يده «طارت»، ولم يعد الممثل الذى حسدوه وحاولوا أن يقلدوه بعد هوليوود، فأطلقوا الشائعات والحقائق عن عصبيته، وتطاوله إذا غضب.

ذلك «ألزهايمر» اللعين الذى يحزن المحيطين بمن أصابه على كبر. والحمد لله أنه نفسه لا يدرى بنسيانه.

أكثر من ثمانين سنة عاش معظمها فى فنادق العالم الباردة، مهما كانت فاخرة، وآخرها فى «الجونة» التى لم يحس بجمالها، ونسى كل شيء عن أهله وفنه وأفلامه من «صراع فى الوادي» و«نهر الحب» إلى «لورانس العرب» و«فتاة مرحة»، ونسى كل النساء وما أكثرهن.. عندما أخبره زاهى حواس بوفاة فاتن حمامة لم يتذكرها. فقال له:

والـدة «طـارق» أجابـه: طـارق أخويـا؟!

لم يعـد أحـد يسـأل عنـه سـوى ابنـه «طـارق» وصديقـه «زاهـي»، ولكـن الاثنـين عـلى سـفر دائمـاً، وهـو يعـانى منـذ ثـلاث سـنوات، ويثـير المشـاكل فى الفنـدق الـذى اختـاره عـلى النيـل،: متخيـلاً أنهـم سرقـوه، فيقيـم ضجـة تكـررت لم يتحملهـا الفنـدق.. والحـل بعـد أن تمكّـن منـه المـرض أن يقيـم فى مصحـة متخصصـة، أو شـقة بهـا ممرضـون تحـت إشراف طبـي.

داء ليـس لـه دواء. مهـما فعـل الأطبـاء. لا نعـرف بالضبـط كـم عـدد المصابـين بـه، فكثـيرون يخفـون أمـر مرضاهـم، ولكنهـم يقولـون إن عددهـم فى حـدود الخمسـين مليونـاً.. قـد يصيـب مـن هـم تحـت السـتين أيضـاً.. كـما أنـه مـرض لا يميـز بـين غنـى وفقـير. رجـل أو سـيدة.. أبيـض أو أسـود، ومواطـن عـادى أو مشـهور، فقـد انتهـت حيـاة الرئيـس الأمريـكى «ريجـان» بعـد معاناتـه، وعـلى الأصـح معانـاة أسرتـه مـن «ألزهايمـر».. وحـاول الأديـب العالمـى صاحـب «١٠٠ عـام مـن العزلـة» والحائـز عـلى جائـزة نوبـل أن يحـاول جاهـداً تحـدى النسـيان.. ووصـل الـداء إلى أشـهر لاعـب كـرة «بوشـكاش».

الكاتـب الشـاعر الدبلومـاسى السـعودى «غـازى القصيبـي» لـه روايـة يقـول إنهـا أقصوصـة اسـمها «ألزهايمـر» يحـكى فيهـا كيـف يقـف بطلهـا «يعقـوب العريـان» أمـام بائعـة العطـور ليشـترى زجاجـة مـن عطـر زوجتـه المفضـل.. تسـأله البائعـة: مـاذا يريـد؟ ولكـن يعجـز تمامـاً عـن تذكـر اسـم العطـر، رغـم محـاولات البائعـة تذكـيره بمختلـف الأسـماء.. غـادر المتجـر، وقـد احمّـر وجهـه، بعـد البائعـة التـى تبتسـم بعطـف بـأن يعـود إليهـا، ومعـه الاسـم مكتوبـاً.

وفى رسـالة مـن «يعقـوب» لزوجتـه مـن المستشـفى الـذى يعالـج فيـه مـن «ألزهايمـر» يقـول: إن هـذا مـرض ارسـتقراطى جـداً، وإن عـدداً مـن

صفـوة الصفـوة فى الغـرب قـد أصيبـوا بـه، وذكـر أسـماء ريتـا هايـوارث، وتشـارلتون هيسـتون، وجوليانـا ملكـة هولنـدا، وطبعـاً رونالـد ريجـان الـذى قـال: «هـذا مـرض جميـل، تقابـل الاشـخاص أنفسـهم، وتظـن أنـك تـرى وجوهـاً جديـدة كل يـوم».

وتتـوالى رسـائل «يعقـوب» إلى زوجتـه.. وأحـزن عـلى كل مـن أصابـه داء النسـيان، ولـو أنـه لا يحـزن عـلى نفسـه!

غزل البنات

سـألتنى هامسـة وهـى تداعـب بأناملهـا الرقيقـة مشـاغبات «الفيسـبوك».. عـن فيلـم «غـزل البنـات».. تحمسـت: ده أنـا دخلتـه أكـثر مـن مـرة.. يـا سـلام!!

بنفـس الهمـس المريـب قالـت دون أن ترفـع وجههـا عـن شاشـة «الفيسـبوك»: ده إنتـاج سـنة ١٩٤٩ أيـام الملـك فـاروق قبـل منفـاه، وقـد جـاء بعـده محمـد نجيـب مـن القشـلاق إلى الحكـم إلى الأسر طـول العمـر، وجـمال عبدالنـاصر «آدى احنـا بنينـا السـد»، وأنـور السـادات «انتفاضـة الحراميـة»، وحسـنى مبـارك «أسـير القـصر»، ومحمـد مـرسى «سـجين الزنزانـة»، وعبدالفتـاح السـيسى «اللـه المسـتعان»!

غفـرت لهـا السـؤال حتـى بعـد أن عرفـت خبثـه وشـقاوته، فصاحبتـه هـى زوجتـى التـى تحـرص عـلى تذكـيرى بيـوم مولـدي.. هكـذا توالـت الذكريـات والدندنـة:

«عينى بترف وراسى بتلف

وعقلى فاضله دقيقة ويخف

عشانك انتى أنكوى بالنار والقح جتتي

وادخل جهنم وانشوى واصرخ واقول يا دهوتي».

دخلـت الفيلـم أكـثر مـن مـرة، أعتقـد فى سـينما اسـتديو مـصر عـلى

ناصية عماد الدين وشارع نجيب الريحاني، بعد أن أطلق اسمه عليه بعد وفاته، دون أن يشاهد الفيلم الذى تمناه، فقد مات قبل انتهاء تصوير غزل البنات.

كانت البداية فى أسانسير عمارة الإيموبيليا بوسط البلد، حيث التقى صدفة بالفنانة اللامعة «ليلى مراد»، والاثنان من سكان العمارة..بعد «بونجور»، قال: أموت وأمثل فيلم معاكي.

حكت لزوجها وقتها الممثل المخرج المنتج الشاطر «أنور وجدي»، فأخذ الأمر بجدية، وبدأ الإعداد للفيلم..

أحاط موت «الريحاني» المفاجئ الكثير من الشكوك، ونشرت مجلة «الأهرام العربي» تحقيقاً مطولاً عن مختلف الاحتمالات..

فيلم آخر دخلته أكثر من مرة، وقد ماتت بطلته «أسمهان» أثناء تصوير فيلمها «غرام وانتقام» مع يوسف وهبي، فزاد الإقبال على مشاهدته.. وكانت وفاتها أيضاً غامضة، مع أنها سقطت بسيارتها فى النيل، وهى فى طريقها إلى رأس البر، خصوصاً وأن سائق السيارة قفز منها فى آخر لحظة، وغرقت هى وصديقتها.. انتشرت الشائعات تتهم أم كلثوم «غيرة فنية».. أو القصر الملكي؛ إذ كان رئيس الديوان الشهير «أحمد حسنين باشا» الزوج السرى للملكة نازلى والدة الملك فاروق قد أحبّ المطربة القادمة من جبل الدروز فى سوريا.. أو تعاملها مع أجهزة المخابرات البريطانية والألمانية المتنافسة فى المنطقة أثناء الحرب العالمية الثانية.

وعلى ذكر «أسمهان» فقد تجددت رواية أن من قتلها هم الإخوان المسلمون بأمر من زعيمها «حسن البنا» أصدره لعبدالرحمن السندى رئيس الجهاز السرى للجماعة الذى زرع سائق السيارة التى سقطت بها -عمداً- فى النيل، وبعد أن دسّ لها شراباً مخدراً حتى لا تستطيع

النجـاة وهـى السـباحة الماهـرة.. وقـد تقـاضى «البنـا» ألفـى جنيـه إسـترلينى مـن قائـد المخابـرات البريطانيـة فى مـصر.

كانـت تلـك شـهادة «ثـروت الخربـاوي» المحامـي، وأهميتهـا أنـه كان عضـواً بـارزاً فى جماعـة الإخـوان!

أول مـرة تظهـر فيـه نجمـة الإغـراء «هنـد رسـتم» عـلى الشاشـة كانت كومبـارس فى فيلـم «غـزل البنـات»، واحـدة مـن راكبـى الخيـل وراء البطلـة ليـلى مـراد، و«اتمخطـرى يـا حلـوة يـا زينـة».

احتـل المركـز التاسـع فى قائمـة أفضـل مائـة فيلـم مـصري.. كان الأول «العزيمـة» للمخـرج كـمال سـليم، وآخـر فيلـم فى قائمـة الأفضـل هـو

«الزوجة رقم ١٣» لفطين عبدالوهاب..

كانت أفلام زمان عظيمة!

كان يختلـط علينـا الأمـر عنـد ذكـر اسـم فيلـم «غـزل البنـات»، هـل هـو بالفتحـة عـلى الـزاى فيعنـى الحـب والغـرام؟ أم بالسـكون فيصبـح اسـم الحلـوى الشـهيرة التـى نعشـقها منـذ كنـا أطفـالاً، ورديـة اللـون هشـة حلاوتهـا تـذوب فى الفـم.

نسـمّيها فى مـصر وبـلاد الشـام غـزل البنـات، وفى العـراق شـعر البنـات، وعنـد الخلايجـة ذقـن الشـايب، وفى ليبيـا حلـوى القطـن، ويسـميها التوانسـة لحيـة جـدّي.. هكـذا تكـون الوحـدة العربيـة!

كانـوا يطوفـون شـوارع مـصر وحواريهـا يبيعـون الحلـوى للأطفـال ينادونهـم بالمزمـار، فيتجمعـون حولهـم يشـترون ويهللـون، وكنـت آخرهـم..

ينفـض السـامر بعـد قليـل لأجـد نفـسى وحيـداً تائهـاً باكيـاً، فيتلقفنـى

رجـل طيــب يملــك دكانــاً فى جــزء مــن داره، لأجــدنى وســط عائلــة طيبــة وطعــام ينســينى مــا أنــا فيــه طفــلاً لم يبلــغ السادســة مــن عمــره.. بينــما أمــى والجــيران ينتحبــون حائريــن، ولم يكــن الحــل أيامهــا إلا المنــادي: عيّــل تايــه يــا ولاد الحــلال، لابــس جلابيــة مخططــة بأحمــر.. هكــذا وجــدوني، وهكــذا أفكــر حتــى اليــوم مــاذا لــو تبنــانى الحلــواني؟!

لم أفطــن لخبــث الســؤال: تعــرف فيلــم غــزل البنــات؟ وســذاجة الإجابــة: طبعــا دخلتــه كتــير أول مــا اتعــرض فى ســينما اســتوديو مــصر!ا

تبقى الحكمة على لسان نجيب الريحاني:

«بتاع الكلب يلبس لبس باشا، والباشا يلبس جنايني».

وأول لقــاء مــع الباشــا القــادم مــن حديقــة قــصره مرتديــاً زى جنايــني، يســأل: إنــت جــاى تعمــل إيه؟

- جاى أدرّس لبنت السلطان.

- شايف نفسك ضليع فى قواعد اللغة العربية؟!

- زى مانت ضليع فى الجرجير والبقدونس والفجل الرومي!

كانــت عــمارة الإيموبيليــا التــى أقامهــا المليونــير الشــهير أحمــد عبــود باشــا بمليــون وثلاثــين ألــف جنيــه فقــط! قبــل مــا يقــرب مــن ســبعين عامــاً، ســبباً فى إنتــاج فيلــم «غــزل البنــات» تســكنها البطلــة ليــلى مــراد، والبطــل نجيــب الريحــاني، والمنتــج أنــور وجــدي، والملحــن محمــد عبدالوهــاب، كــما كان يســكنها كثــير مــن الفنانــين والفنانــات وأصحــاب الملايــين؛ مثــل ســلفادور شــيكوريل، وريمــون شــملا، وكبــير الصحفيــين فكــرى أباظــة.

ولقــد شــهدت الإيموبيليــا طــلاق أنــور وجــدى وليــلى مــراد، وقبلــه شــهدت إســلامها.. يقولــون إنهــا ســمعت أذان الفجــر بصــوت جميــل،

فأيقظت «أنور» قائلة: أنا عايزة أسلم دلوقتي.. أجابها وهو يغالب النوم: قولى أشهد ألا إله إلا الله محمد رسول الله، وبكره نروح الأزهر الشريف.. توضّأت ليلى وصلت ركعتين.

غنّت «ليلى» فى فيلم «بنت الأكابر» والدموع تطل من عينيها «يا رايحين للنبى الغالي»، ولم تكن الأغنية موجودة فى الفيلم الذى كتبه أبو السعود الإبياري، فطلبت منه «ليلى» أن يضيف أغنية دينية، أخذتها بنفسها -لضيق الوقت- إلى الملحن رياض السنباطى فى منزله بمصر الجديدة.

يضيف الزميل «أيمن الحكيم» فى كتاب انتهى من إعداده ونشر فصول منه فى جريدة «الدستور» أن الحنين لزيارة النبى كان جارفاً، ومع ذلك لم تستطع تحقيق حلمها حتى بعد أن تفرغت لتربية ابنيها «زكى فطين عبدالوهاب» و«أشرف وجيه اباظة»؛ إذ حافظت على إسلامها وصلاتها وصومها حتى لقيت ربها..

ولعل تلك الأغنية كانت سبب تبرئتها من تهمة كاذبة وترويج بأنها دفعت خمسين ألف جنيه تبرعاً لدولة «إسرائيل» بعد إعلان قيامها، وأنها سافرت إلى تل أبيب سراً، والتقت بأقاربها هناك، وأن الموساد جنّدها.. إسلامها أنقذها من كل سوء.

وذهب المخرج صلاح أبو سيف لزيارة صديق يسكن الإيموبيليا، فجاءته فكرة فيلمه الشهير «بين السماء والأرض»؛ إذ راوده خاطر: ماذا يحدث لو أن المصعد توقّف بركابه؟

صحافة بكرة

أسـماء المجـلات تـدل عـلى نوايـا أصحابهـا خريجـو قسـم إعـلام بكليـة آداب جامعــة حلــوان فى مشــاريع تخرجهــم عــام ٢٠١٧.

فـازت «خـارج التغطيـة» التـى يـرأس تحريرهـا التنفيـذى «حسـام شـورى» تحـت إشراف أسـاتذة الإعـلام فى الجامعـة، وأولهـم رئيسـة القسـم الدكتـورة «نائلـة عـمارة» التـى تـأتى شـهرتها أكـثر بتقديمهـا برنامجـاً تليفزيونيـاً متميـزاً، وتوقـف لأسـباب شـتى!

أسماء باقى مشروعات التخرج:

قرص مسكن - فكّة - سلالم - عرضحالجي.

بالإضافـة للموقـع الإلكـترونى «تحـت العشريـن- فاهمـين وواعيـين» الـذى قدمـه ١٨ طالـب إعـلام أصبحـوا خريجـين وزمـلاء، يخاطبـون الشـباب تحـت سـن العشريـن، ومــن يتعامــل معهــم ويحتكّــون بهــم.. بــه صفحــة «خطــوط حمــراء» للملفــات السـاخنة، و»ببيونـة وفيونكـة» للصبيـان والبنـات.

أجـرى الموقـع حـوارات مـع الكاتـب «عمـر طاهـر» ونجمـى السوشـيال ميديـا «محمــد عامــر وزوجتــه» والــروائى «محمــد عصمــت» صاحــب قصــص الرعــب، و»أحمــد ريــاض» مديــر تحريــر مجلــة «الأخبــار برايــل».

حــاورت «خــارج التغطيــة» المرشــح الرئــاسى الســابق «عبدالمنعــم ابــو الفتــوح»، وجعلــت صورتــه غلافــاً، وعــليّ الديــن هــلال أســتاذ العلــوم

السياسية الذى ارتبط بنظام «مبارك» تحت عنوان «التاريخ لا يعود للخلف»، ومحمد أبو الغار تحت عنوان «البرادعى خوّاف ولا يصلح للعمل السياسي»، وعبدالمنعم عمارة «مبارك مش حرامي»، وهيثم الحريري: «ميزانية البرلمان بذخ»، وخالد تليمة: «كنت أعلم بقرار رحيلى عن الإعلام قبل قبل إبلاغى رسمياً»، وياسر أيوب: «تجاهل الأبطال عادة مصرية»، وجميل راتب: «عدد شائعات وفاتى ٦٦ مرة».

نشرت المجلة موضوعات مختلفة، من بينها تحقيق عن قرية «العزيزية» بالبدرشين، وهى القرية التى عاش فيها «سيدنا يوسف» فى مصر.

هيئة التحكيم: عماد الدين حسين رئيس تحرير «الشروق»، ومحمود مسلم رئيس تحرير «الوطن»، وقنوات «دى إم سي» التليفزيونية، ومحمود الضبع رئيس تحرير موقع «انفراد».

مرحباً بدم جديد فى دنيا الصحافة.. لعل وعسى!!

كيف «لا» تقرأ الصحيفة؟

أفتح عيونى فى الصباح -بعد نوم قلق لا داعى لذكر أسبابه- على قراءة الصحف.. «أعافر» بما تبقى لى من «نظر» لمعرفة بعض ما يجرى فى المحروسة.. ولا عتاب على «الشيش بيش»، فالعتب كله على العمر الذى طال..

هل يمكن أن يحيا الإنسان بدون صحيفة تنكّد عليه عيشته؟ أم أن يسعد بكونه الأطرش فى الزفة.. وما أكثر العميان والطرشان فى هذا الزمان!

إثم أننى بعد ساعة أو ساعتين سوف أدخل فى امتحان «إيه الجديد عندك النهارده»؟ سؤال يطرحه كل صباح صديقى «توماس

جورجيسيان» عبر الأثير مع حساب فروق التوقيت من «واشنطن» حيث يقيم مراسلاً صحفياً مصرياً من أصل أرمنى يحمل الجنسية الأمريكية، كتب فى كل صحف القاهرة من «صباح الخير» إلى «الأهرام» عبوراً بـ«الوفد» و«الجمهورية» و«التحرير».. درس الصيدلة وعمل بها سنوات فى أجزاخانة «مترو» الشهيرة بجوار «أمريكيين» عماد الدين، وله فيها حكايات ليته يضمها فى كتاب. ما دام الفن والأدب قد أفسداه.. وبعد أن ذاق حلاوة إصدار أول كتبه «الطيور على أشكالها تطير»، وأرجو ألا يكون كتابه الأخير.

كنت أشترى صحيفة واحدة، فأصبحت أقرأ كل الصحف، سواء من أولها أو من آخرها. من عناوينها وتفاصيلها ومقالاتها إلى إعلاناتها ووفياتها واستغاثات المواطنين بالفلوس.. أعرف قيمتها من عدد الدقائق أو الثوانى التى أستغرقها قبل أن أطوى صفحاتها. بعضها تستهوينى وبعضها أمرّ عليها مرور الكرام.. أو اللئام.

تمنيت أن يصبح لى عشر عيون «ستة على ستة»، أقرأ بها ما فاتني، وأتواصل مع زحف شباب الجيل الجديد.. وأن يصبح عندى عشرة أقلام تكتب بسلاسة ما يثيرنى حباً.. وغضباً.

ولكن ما باليد حيلة بعد أن تكاثرت علينا الصحف و«استفرد» بنا الكتّاب!!

الفهرس